صفحاتٌ من تاريخٍ مُسْتَعادٍ لِراهِبَيْنِ في مِحْرابِ التُّراث

رسائلُ سُليمانَ الصّائغِ إلى أنستاسَ الكرمليِّ (١٩٢٢ـ ١٩٣١م)

دراسة وتحقيق: حُسين مُحمّد عَجيل (*)

مُقدّمة

قبل قرنٍ من الزمّان ونيّفٍ، وتحديدًا في اليوم الحادي والعشرينَ من أيْلُوْل/ سبتمبر سنة ١٩٢٢م، افتتحَ المُؤرِّخُ سُليمانُ الصّائغُ (المولودُ بالمَوْصِلِ[1] يوم ١٨ أيْلُوْل/ سبتمبر ١٨٨٦– والمُتوفَّى ببغدادَ في يوم مولده نفسِه من سنة ١٩٦١م) توجيهَ سلسلة رسائلَ إلى العَلَّامةِ اللُّغويِّ أنستاس ماري الكرمليِّ (المولودِ ببغدادَ في ٥ آب/ أغسطس ١٨٦٦– والمُتوفَّى فيها يوم ٧ كانُوْنَ الثّاني/ يناير ١٩٤٧م)، وواصلَ مُكاتباتِه إليه في ما مجموعُه تسعُ رسائلَ، مُتباعدة الزّمان أحيانًا، إلى يوم ٢٨ كانُوْنَ الأوّلِ/ ديسمبر ١٩٣١م الّذي شهد آخِرَ رسالةٍ منه حفظتْها عنايةُ الكرمليِّ بالتّوثيق، مثلما حفظتْ آلافًا غيرَها تنتمي إلى ضَرْبٍ مُهِمٍّ من ضُروبِ الأدب الحيِّ لَمّا يأخذْ مكانتَه اللّائقةَ بعدُ في ثقافتِنا، أعني به أدبَ الرّسائل.

(*) باحثٌ عراقيٌّ.

(١) هكذا ضبطَ ياقوت الحَمَويُّ (المُتوفَّى سنة ٦٢٦هـ) اسمَها، في «مُعْجَم البُلدان» (طبعة دار صادر): ٥/ ٢٢٣، فقال: «المَوْصِلُ: بالفَتْحِ، وكَسْرِ الصَّاد: المدينةُ المشهورةُ العظيمةُ، إحدى قواعدِ بلادِ الإسلام، قليلةُ النّظيرِ كبرًا وعِظَمًا وكثرةَ خلقٍ وسعةَ رُقْعةٍ، فهي محطُّ رِحالِ الرُّكبان، ومنها يُقصَدُ إلى جميع البُلدان، فهي بابُ العراق ومِفتاحُ خُراسان، ومنها يُقصَد إلى أَذَربِيْجان، وكثيرًا ما سمعتُ أنّ بلادَ الدُّنيا العِظام ثلاثةٌ: نَيْسَابُور لأنّها باب الشَّرْق، ودِمَشْقُ لأنّها باب الغَرْب، والمَوْصِلُ لأنّ القاصدَ إلى الجهتينِ قلّ ما لا يمرُّ بها».

وكان من قصّتي مع هذه الرّسائل أنّ الصّديقَ الفقيدَ الدّكتور سَعْدي المالِح، المُديرَ العامَّ السّابقَ لمُديريّة الثّقافة السُّريانيّة في وزارة الثّقافة بإقليم كُردستان العراق، قد وجّه لي صيفَ سنة ٢٠١٢م دعوةً رسميّةً للمُشاركة في الحَلْقة الدّراسيّة بالمهرجان السَّنَويِّ «دَوْر السُّرْيان في الثّقافة العراقيّة» الّذي كان يُخطِّطُ لإطلاقِ دورةٍ ثالثةٍ منه قُبيل نهاية ذلك العام تحتفي بالمُؤرّخ سُليمانَ الصّائغِ، مُلتمِسًا كتابةَ بحثٍ أَختاره يُناسبُ محاورَ المهرجان، فغمره الفرحُ حين أخبرتُه بحُصولي على صورٍ من رسائلَ مجهولةٍ بخطِّ الصّائغِ نفسِه مُرسلةٍ إلى الكرمليِّ، مضت على كتابتها- يومئذٍ- نحو تسعةِ عُقُودٍ، وعزمَ على أن يُعلِنَ الكَشْفَ عن هذه الإضمامةِ الوثائقيّةِ النّفيسةِ في الجلسة الأُولى الّتي تلي حفلَ الافتتاح مُباشرةً، وهكذا كان، إذ ألقيتُ ورقةً بحثيّةً تضمّنتْ خُلاصةً عامّةً عن فحوى هذه الرّسائل والصِّلات بين الصّائغِ والكرمليِّ في جلسة افتتاح المهرجان، الّتي عُقدت في مدينةِ عينكاوةَ بأربيلَ صبيحةَ يومِ الثّلاثاء ٢٠ تَشْرِيْن الثّاني/ نوفمبر ٢٠١٢م[٢]، بحُضورِ جمهرةٍ كبيرةٍ من الباحثينَ والأُدباءِ والمُهتمّينَ من عُموم العراق.

سأستعرضُ في الصّفحات الآتيات تسعَ الرّسائلِ هذه المُوجّهة من الصّائغ إلى الكرمليّ مُنذ مطلع عشرينيّات القرن الماضي حتّى مطلعِ ثلاثيّنيّاتِه، أُصُولًا خطّيّةً ومضامينَ، مُحاولًا مَوْضِعَتَها في إطارَيْها التّاريخيّ-الجُغرافيِّ والثّقافيّ، والتّعريفَ المُجْمَلَ ببعضِ أعلامِها وشواردِ إشاراتِها الّتي قد تتطلّبُ إيضاحًا كي لا تُثقَل نُصُوصُ الرّسائل بالهوامشِ أكثرَ ممّا ينبغي، عارِضًا في تقديمي ملامحَ الصّلاتِ الجامعةِ بين الشّخصيّتين، ومُعرّفًا بهما من خلال المُقارنات بينهما، وكاشِفًا عن الجانبِ غير المنظور من تفاعُلِهما مع محيطهما الثّقافيّ في العراق والعالم العربيِّ، استنادًا إلى وثائقَ بعضُها غيرُ منشورٍ، وبالعودة إلى كتاباتٍ منشورةٍ في صحافةِ ذلك الزّمان. ثُمّ أُدرِجُ نُصُوصَ الرّسائلِ

(٢) أدار الجلسةَ الافتتاحيّةَ، الّتي تركّزت على المُؤرّخِ سُليمانَ الصّائغِ، الصّديقُ الفقيدُ الدّكتور سَعْدي المالِح، وشاركني في إلقاء الأوراق البحثيّة فيها الأساتذةُ: الصّديق الفقيد الدّكتور عماد عبد السّلام رؤوف، والنّاقد ياسين النُّصَيِّر، والباحث الرّاحل بَهْنام سليم حَبَّابة، والباحث شَمْدِيْن الباراني. يُنظر التّقرير المُوسّعُ عن الجلسةِ في الجريدة اليوميّة للمهرجان المنشور في عددها الأوّل الصّادر يوم الأربعاء ٢١ تَشْرِيْن الثّاني/ نوفمبر ٢٠١٢م. وكان الاتّفاقُ المبدئيُّ مع الدّكتور المالِح أن تُنشَر هذه الرّسائلُ مع دراسةٍ مُوسّعةٍ لها وللصّلات بين الصّائغ والكرمليّ في كتاب مُنفصلٍ تُصدِره المُديريّةُ لاحقًا، بعد الحُصُول على رسائلِ الطّرفِ الآخرِ من هذه المُكاتبات (وهي رسائل الكرمليّ)، ولذلك لم تُضَمَّ ورقتي البحثيّةُ إلى مُحتوى الكتابِ التّوثيقيِّ «دَوْر السُّرْيان في الثّقافة العراقيّة: أبحاث ودراسات الحلقة الدّراسيّة الثّالثة: دورة سُليمان الصّائغ ٢٠- ٢٢/ ١١/ ٢٠١٢»، الّذي صدرَ عن تلك المُديريّةِ سنةَ ٢٠١٣م بـ ٥٢٤ صفحة. غير أنّ تعثُّرَ خطواتِ الحُصُول على رسائلِ الكرمليِّ المفقودةِ، ثُمَّ الحدث المُؤلم بوفاة الدّكتور المالِح يوم الجمعة ٣٠ أيّار/ مايو ٢٠١٤م، وما جرى على البلاد من أهوالٍ في صيف ذلك العام، أوقف هذا المشروع. تُنظر كلمتي في رثائه المنشورةُ بعُنوان «الغِياب المُفجِع» في جريدة (الصّباح الجديد) البغداديّة: العدد ٢٨٦٢ الصّادر يوم الأحد ١ حَزِيْران/ يونيو ٢٠٢٤م: الصّفحة ٨ (الثّقافيّة).

مُعلِّقًا عليها بحواشيَ تُفكِّكُ ما تبقّى فيها من التباساتٍ، وتُوضِّحُ غوامضَها، وتُعرِّفُ بالمواضعِ الجُغرافيّةِ غير المشهورةِ فيها وبالأشخاص المجهولين للقارئ المُعاصِر.

الكلمات المفتاحية: أدب الرّسائل، أنستاس، الكرمليّ، سُليان الصّائغ، تاريخ الموصل، الدور الثقافية لرُهبان العراق في القرن العشرين.

أُصُول الرّسائل الخطِّيّة

وأُصولُ هذه الرّسائلِ محفوظةٌ اليومَ في دار المخطوطات العراقيّة ببغدادَ، التّابعةِ لهيأة الآثار والتُّراث في وزارة الثّقافة، تحت الرّقم ٣٤٥٧١، بعد أن أودعها تلميذا الكرمليِّ الباحثان الفاضلان الرّاحلان گورگيس عَوَّاد وميخائيل عَوَّاد[٣] في مكتبة المُتْحَف العراقيّ في ثمانينيّات القرن الماضي، لتُحفظَ فيما بعدُ بدارِ المخطوطاتِ بعد إنشائها نهايةَ العقد الثّمانينيّ ذاك. والمُتاحُ منها في الدّارِ رسائلُ الصّائغِ إلى الكرمليِّ فقط، أمّا إجاباتُها (أي رسائل الكرمليّ إلى الصّائغ) فهي مجهولةُ المصيرِ ولا تزالُ تنتظرُ مَن يكشفُ عنها النِّقاب، مع نظائرَ لها ممّا كتبتْه أناملُ أقطابِ النّهضةِ الحديثةِ في العراق والعالم العربيِّ، الّذين غابت عن الدّارسين مُعظمُ مكاتباتِهم الشّخصيّةِ ومُدوّناتِهم الذّاتيّةِ الّتي تُمثِّلُ ثروةً ثقافيّةً نادرةً، وكاشفةً عن تاريخِ ما أهمله التّاريخُ من لحظاتٍ مُؤثّرةٍ في حياتهم، لم تجدْ- من أسَفٍ- العنايةَ اللّازمةَ بها من مُؤسَّساتِ البلادِ الثّقافيّةِ، خلافًا لِما يُتوقّعُ منها، ولا من أغلبِ تلامذتِهم وأبنائهم وأوساطِ المعنيِّين.

وينبغي الإقرارُ، هنا، بأنّ عصرَ النّهضةِ الحديثةِ في بلادنا ومُحيطِها العربيِّ في بيئاته المُؤثّرةِ، لا يزالُ يُشكِّلُ موضوعًا ثريًّا ومُغْريًا للباحثينَ؛ لأسبابٍ مُتعدِّدةٍ، لعلَّ من أبرزها أنّ جُمْلةً من قضاياهُ الفكريّةِ، لا تزالُ تحملُ حتّى الآن بعضَ عناصرِ جِدَّتِها، وتحظى بنقاشاتٍ على أكثر من صعيدٍ، كما أنّ كثيرًا من مفاصلِ هذا العصر، وكِبارِ أعلامِه وشخصيّاتِه وتوجُّهاتِهم الأدبيّةِ ومواقفِهم الفكريّةِ والسّياسيّةِ، به حاجةٌ ماسّةٌ إلى مزيدٍ من الدّراسات التي تَجلو غوامضَه، وتستكملُ حلقاتِه النّاقصّةَ؛ لتوضيحِ الدّورِ الحقيقيّ لأعلامِ النّهضةِ، في تحديدِ اتجاهاتِها وملامحِها، وبيانِ موقعِهم من الأصالة. ولكي تُحقِّقَ مثلُ هذه الدّراساتِ بعضًا من أهدافِها، لا بُدَّ لها من العودة إلى وثائقِ ذلك العصر، ممّا خلَّفَه أعلامُه من كُتُبٍ ومقالاتٍ، وما دوَّنوه من مُذكّراتٍ ورسائلَ. وإذا كان كثيرٌ من مُؤلّفاتِ هؤلاءِ الأعلامِ ومقالاتِهم، قد وجدَ طريقَه إلى النَّشْرِ، في أثناء حياتِهم أو بعد موتِهم، فالمُلاحظُ أنّ ثمّةَ نَقْصًا خطيرًا وفادحًا في حجمِ ما نُشِرَ في ضَرْبينِ مُهمَّينِ من ضُروبِ الأدب الحديث، أعني بهما: أدب الرّسائل، والمُذكّرات، على ما يتّسمان به من فرادةٍ، وما يمكن أن يمنحاه للدّارسِ في هذا المجال، من كُشُوفاتٍ غاية في الأهمّيّة، على المُستويين الفكريِّ والتّاريخيِّ، لا يُمكنُ أن يجدها في ضُرُوبٍ أُخرى. لذلك يكتسِبُ التّساؤلُ المُلِحُّ عن مصيرِ رسائلِ أعلامِ النّهضةِ الحديثةِ، ومُذكّراتِهم وسائرِ مُدوّناتِهم- في ظلِّ هذا الواقعِ- أبعاده التي لا يُمكنُ التّكهُّنُ بمدى

(٣) كان الكرمليُّ قد أهداهما، سنة ١٩٤٣م، ملفّاتٍ تضمُّ كُلَّ ما ورده من رسائلَ، وهي تُعدّ بالآلاف، بعد أن تطوّعا لتنظيمها وتنسيقها بحسبِ المُرسِلينَ، واستغرق عملُهما هذا عامًا كاملًا.

خُطورتِها، إلّا لدى الشُّرُوع في مُراجعةٍ تاريخيّةٍ، تتوخّى الموضوعيّةَ، لهذه المرحلة الشّائكة من تاريخنا المعاصر(٤).

ولأجل ذلك، وللوُقُوف على الجانب الآخر والجُزء المفقود من هذه المُكاتبات، وهو رسائلُ الكرمليِّ إلى الصّائغِ، كنتُ خطَّطتُ صيفَ سنةِ ٢٠١٢م للذّهاب إلى دَيْرِ الآباء الدّومنيكان في مدينةِ المَوْصِلِ، مُتوقّعًا أن أجدَ فيه شيئًا ممّا يخصُّ الصّائغَ بوصْفِه مَوْئلًا حافِظًا لتاريخِ المدينةِ في القرنين الأخيرين، فعلمتُ أنّ مقرَّ الدَّيْرِ قد نُقِلَ- لأسبابٍ أمنيّةٍ- من منطقةِ السّاعةِ وسْطَ المدينةِ إلى ناحية قَرَقوش في سَهْلِ نِيْنَوَى(٥)، فنسَّقتُ من خلالِ صديقٍ كريمٍ هناك، هو الصَّحفيُّ والإعلاميُّ وسام راما، لترتيب لقاءٍ مع القائمين على الدَّيْر، لكنَّ حضرة الأب نجيب موسى الدّومنيكيّ أفادَ- يومئذٍ- بأن لا شيءَ لديهم من وثائقِ الصّائغِ الّتي نُقِلتْ بعد موتِه إلى بغدادَ. ثُمَّ اضطربتِ الأُمورُ بُعَيْدَ ذلك في عُمُوم البلاد عُقْبَ احتلالِ مُسُوخِ التّنظيمِ الإرهابيِّ (داعش) المَوْصِلَ وسَهْلَ نِيْنَوَى وما يُحيطُ بهما، وكان ثمنُ ذلك فادِحًا ومَهُوْلًا وغيرَ مسبوقٍ على صعيدِ الخسائرِ البشريّةِ والأضرارِ الجسيمةِ الّتي حلّت بالمُمتلكاتِ العامّةِ والخاصّةِ، كما أصابتِ الوطنَ في أعزِّ ما يمتلكُ من إرثٍ: ذاكرتَه وموروثاتِه الحضاريّةَ الّتي نَجَتْ من أهوالِ القُرون.

واليومَ، وبعدَ بضعةِ أعوامٍ من انطواءِ هذه الصّفحةِ المريرةِ من تاريخِنا المُعاصِرِ، أخذتِ المَوْصِلُ تستعيدُ شيئًا فشيئًا رُوْحَها وتُزيلُ عنها الرُّكامَ، وتجمعُ ما تبقّى من مخطوطاتِها ووثائقِها ومُحتوياتِ مكتباتِها، وتُلملمُ أحجارَ شَواخِصِها العُمرانيّةِ ومبانيها ذاتِ القيمةِ التّاريخيّةِ أو التُّراثيّةِ لتُعاد على صُورةِ الأصلِ الّتي كانت عليها، كمشروع مُنظَّمةِ (اليونسكو) لإعادةِ تشييدِ منارةِ الحَدْباءِ وجامعِها العتيقِ ومُحيطِه، وكنيسةِ اللّاتين المعروفةِ بكنيسة السّاعة. وكان ممّا يبعثُ على السُّرُور أن يُفتَتَحَ مطلعَ هذا العامِ (في شهر آذار/ مارس ٢٠٢٤م) البيتُ التُّراثيُّ للمُطْرانِ سُليمانَ الصّائغِ، الّذي يقعُ في مِنْطَقةِ المَيْدانِ بالمَوْصِلِ القديمةِ، والمُشيَّدُ في عشرينيّاتِ القرن الماضي يومَ كان يتبادَلُ هذه الرّسائلَ مع أنستاسَ الكرمليِّ، فلعلّ الظُّرُوفَ تُتيحُ لي- أو لغيري من الباحثينَ- في المُقبلِ من الأيّامِ والأعوامِ، فُرصةَ العُثُور على تلك الرّسائل المفقودةِ الّتي تلقّاها الصّائغُ من الكرمليِّ؛ للكشفِ عمّا تكتنزه رسائلُ الأخيرِ- عادةً- من قيمةٍ معرفيّةٍ.

ولقد تبيَّن لي أنّ عددَ رسائلِ الكرمليِّ المفقودةِ إلى الصّائغِ لا تقلُّ عن تسعِ رسائلَ، أربعٌ منها مُؤكَّدةٌ بدليلٍ نصيٍّ وردَ في عباراتِ الصّائغِ

---

(٤) الفِقْرةُ أعلاه مُقتطعةٌ بتصرّفٍ من مُقدّمةِ كتابي «رسائل الأُستاذ الرّئيس مُحمّد كُرْد علي إلى الأب أنستاس ماري الكرمليّ»، الصّادرة طبعتُه الأُولى عن مجمع اللُّغة العربيّة بدمشق، سنة ٢٠٠٠م، وصدرتْ في نهاية سنة ٢٠٢٣م طبعةٌ ثانيةٌ مُنقَّحةٌ منه عن دار الرّافدين ببيروت.

(٥) هكذا ضبطَ ياقوتُ الحَمَويُّ لفْظَ (نِيْنَوَى) المُتّخذَ حاليًّا اسمًا للمُحافظةِ الّتي مركزُها مدينةُ المَوْصِلِ شماليّ العراق، وذلك في «مُعْجَم البُلدان» (طبعة دار صادر): ٥/ ٣٣٩، وقال: «وهي قريةُ يُونُسَ بنِ مَتَّى، عليه السّلامُ، بالمَوْصِلِ».

نفسِــه، كقوله في الرّسالة الثّانية «أرجو المعذرةَ عن تأخيري في الجواب لِكارْتِكم المُؤرَّخةِ في ١٠ شُباط »، وقولِه في الرّسالة الثّالثة «أخذتُ كتابَكم وبحثــتُ عــن مدرســة الحَجِّيّــات..»، وقولِــه في الرّسالة السّــابعة «تناولتُ كتابَكم من يدِ الأُستاذ جوزيــه فُرْلاني »، الّذي يردفُه بقولِه في الرّســالةِ نفسِها «ثُمّ تشرَّفتُ بكتابِكم الثّاني، وفيه تطلبونَ نُسختينِ من جدولِ مكتبةِ سِعِرْت للمخطوطات». هــذا فضــلًا عن خمــسِ رســائلَ أُخــرى مُرجَّحَةٍ بقرينةٍ منطقيّةٍ، كقولِه في الرّســالة الأُولى «كُنتم قــد وعدتمونــي بقَبــولِ مُراجعتــي إذا حصل لي صُعوبةٌ ما، فأرجو أن تُجيبوني على سُــؤالي.. »، ولا شــكَّ في أنّ الكرمليّ قــد لبَّى طلبَه، وقولِه في الرّســالة الرّابعة «أرجو صَبْرَكم عَلَيَّ، وسأُوافيكم بالنّتيجة حالما يتيسَّــرُ لي الجــواب»، فهي تُظْهِرُ أنّه كان قد تلقّى رســالةً من الكرمليِّ فيها شــيءٌ من لومٍ، وقولِه في الرّسالةِ الخامسةِ «هل يُمكنُكم أن تدلُّونــي علــى ترجمةٍ كاملــةٍ ليَحْيى بن ماري صاحــبِ المقامات المســيحيّة؟ »، فهــذه تتطلَّب إجابــةً من الكرملــيِّ، وكذلــك الحالُ في رســالةِ الصّائــغِ الثّامنةِ الّتي يُواســي الكرملــيَّ فيها عن احتجــابِ مجلّتِــه (لُغة العرب)، ويفتــحُ له البابَ مُشْرَعًا لنَشْرِ مقالاتِه في مجلّةِ (النَّجْم) المَوْصِليّةِ الّتــي يــرأسُ تحريرَها، ورســالتِه التّاســعةِ الّتي يختتمُهــا بقولِه «وبأمــلٍ أن آخذَ الجــوابَ قريبًا، أكتفي بتقديم الاحترام سيِّدي ».

وأُضيف على ذلك أنّ الكرمليَّ كانَ نَشَــرَ مقالتينِ في مجلّةِ الصّائغِ (النَّجْم) سنةَ ١٩٣٢ و١٩٣٣م، ومــن الطّبيعــيّ أنّ يبعثَ برســالتين للصّائغ مع مقالتيه، أو مع إحداهما في الأقلّ.

تماثُــلٌ بين صاحــبِ (لُغة العــرب) وصاحبِ (النَّجْم)

لا يتّســع المجــالُ للإفاضــةِ هُنا فــي التّعريف بالرّجلين مُنفردينِ؛ ولكن يُلاحِظُ الدّارسُ-ابتداءً- أوجُهَ تماثُلٍ غيرَ قليلةٍ في سيرتَيْهما، تُهيّئُ المجالَ للتّعريفِ المُجْمَلِ بأبرز المحطّاتِ الأساسيّةِ فيهما معًا؛ فقد تشــابهتْ تلك المحطّاتُ فــي حياتِهما، من مرحلة الدّراسة ومن ثُمّ التّدريس، وعُقْبَ ذلك إدارتهما لمدارسَ دينيّةٍ مُتعدِّدةٍ ذاتِ مناهجَ عامّةٍ ومفتوحةٍ- على نحوٍ محدودٍ- لفتيانٍ وفتياتٍ من أبناءِ بغــدادَ والمَوْصِلِ بغضّ النّظر عن دياناتِهم، أســهمتْ في اتّســاع التّعليم فــي المدينتينِ (فقد درَسَ الكرملــيُّ فــي مدرســة الآبــاء الكرمليِّيــنَ العريقةِ ببغــدادَ، ثُمّ درَّس فيهــا، وتولَّى من بعد ذلــك إدارتَهــا، وكذلك فعــلَ الصّائغُ في مدرســة شَــمْعون الصَّفا- العريقةِ أيضًــا- في المَوصِل)، قبــل أن تأخذَهمــا الصِّحافةُ والتّأليــفُ من حقْلِ التّعليــم. وقبلَ ذلك، وأثناءه وبعــده، الانغمارُ في العمــل الجادّ المُثمر والمنقطــع إلى حدٍّ كبيرٍ إلى العملِ الثّقافيِّ العامِّ، برغــم التزامِهما بالواجباتِ الّتي تفرضُها عليهما صفتاهما الكهنوتيّةُ.

وضــعَ الكرملــيُّ تاريخًا لمدينتِه بغدادَ ســمّاه «الفَــوْز بالمُراد في تاريخ بغــداد»[٦]، تناولَ فيه

(٦) صــدرت طبعتُه الأُولى (وتقــع في ٧٧ صفحةً) ببغدادَ ســنةَ ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، مطبوعَــة في مطبعــة الرّياض، بنفقةِ سُــليمانَ الدَّخِيْلِ صاحبِ جريــدة (الرّياض)، وهو ناشرٌ وكاتِبٌ وصحفيٌّ نجديُّ الأصلِ أقامَ ببغدادَ واتّخذَها وطنًا، وتُوفِّي ودُفِن فيها سنةَ ١٣٦٤هــ/ ١٩٤٥م. وتخفَّى الكرمليُّ في هذه الطَّبْعةِ وراء توقيع (ساتسنا)، وهو مقلوبُ اسمِه «أنستاس». وأُعيدَ طَبْعُ الكتابِ في العام نفسِه طبعةً ثانيةً في مطبعة الشّــابَنْدَر ببغدادَ، ولكن باسمِه الصّريح: «لحضرة الفاضل النّحرير والكاتب الاجتماعيّ الكبير الأب أنستاس الكرمليّ».

مقطعًا زمنيًّا محدودًا من تاريخِها عُقْبَ الغزوِ المغوليِّ (من سنة ٦٥٦ إلى سنةِ ٩٠١هـ/ ١٢٥٨- ١٤٩٥م) وهو يُعَدُّ صغيرًا قِياسًا لمدينةٍ كُبْرى وعاصمةٍ ذاتِ تاريخٍ باذِخٍ مثلِها[٧]، ووضعَ الصّائغُ تاريخًا يُعَدُّ كبيرًا وشاملًا لمدينتِه، سمّاه «تاريخ المَوْصِل»، تألَّفَ من ثلاثةِ أجزاءٍ[٨]،

ومن غريب المُفارقات أنّ الكرمليَّ كتبَ بنفسِه عَرْضًا نقديًّا بعُنوان الكتاب نفسه للطّبعة الأُولى من كتابه هذا في باب (المُشارفة والانتقاد) من مجلّته (لُغة العرب): الجُزء العاشر من السّنة الأُولى، الصّادر في شهر نَيْسانَ/ أبريل ١٩١٢م: ص٤٠٥، قال فيه: «الكُتُبُ الّتي يُرى فيها تاريخُ بغدادَ الحديثُ قليلةٌ، وأغلبُها لا تزالُ في بُيُوت الخَواصِّ لم تَظْهَرْ إلى عالَمِ الطَّبْعِ. ثُمّ إنَّ هذه المُؤلَّفاتِ تبحثُ عن عصرٍ من عُصُورِ بغدادَ أو عن جُمْلةٍ من سِنِيِّه. وخُلاصةُ القولِ إنّك لا ترى كتابًا مطبوعًا جامِعًا لتاريخِ بغدادَ من عهْدِ سُقوطِها على يد هولاكو إلى يومِنا هذا، فأرادَ (ساتسنا) أن يضعَ على طَرَفِ الثُّمامِ هذه الحاجةَ، فأخذَ بإنشاءِ سِفْرٍ يُحقِّقُ هذه الأُمنيةَ وينشره في جريدة الرّياض البغداديّة، وبعد أن تمَّ جُزْءٌ منه نشَره على نفقتِه صاحبُ الرّياض، إلّا أنّه وقعَ فيه من أغلاطِ الطَّبْعِ ما يُنَفِّرُ القارئَ عن مُطالعته»، فلعلّ هذه الغلطاتِ هي ما دفعته إلى إعادة طبعِه.

ومن الواجبِ الإشارةُ هنا، إلى أنّه صَدَرَتْ في القاهرة سنةَ ٢٠٠٣م طبعةٌ من هذا الكتاب، عن دار الآفاق العربيّة، نُسِبَ فيها تأليفُه إلى سُليمانَ الدَّخِيْل، وهذا غَلَطٌ فاحشٌ. وقد نبَّه إلى ذلك الباحثُ زين النّقشبنديُّ في مقالةٍ له بعُنوان «الأمانة العلميّة إلى أين ترتقي؟»، نشَرَها في عدد جريدة (الصّباح) البغداديّة الصّادر يومَ ١٥ آذار/ مارس ٢٠٠٥م، ثُمّ أعادَ نشرَها بعُنوان «حياة الكُتُب: الأمانة العلميّة إلى أين ترتقي؟» في العدد الثّالث من (مجلّة الكتاب العراقيّ) البغداديّة، الصّادر في أيْلُوْل/ سبتمبر ٢٠٠٩م: ص١٣- ١٥. وكشفَ فيها أيضًا أنَّ عملَ مُحقِّقِه المزعومِ (مُحمّد زينهم مُحمّد عزب) هذا محضُ تدليسٍ لا يمتُّ بصلةٍ إلى البحث والتّحقيق، وأنّ مُقدّمتَه الطّويلةَ الّتي صَدَّرَ بها الكتابَ مُنتحلةٌ بكاملِ فُصولِها انتحالًا.

(٧) وله أيضًا كتابٌ آخرُ عن تاريخ البلادِ بعُنوان: «خُلاصة تاريخ العراق مُنذ نُشُوئه إلى يومنا هذا»، طُبِع في البصرة سنة ١٩١٩م.

(٨) صدرَ جُزؤه الأوّلُ (ويقع في ٣٣٩ صفحة) في القاهرةِ، المطبعة السَّلَفِيّة، سنةَ ١٩٢٣م، وتناول فيه التّاريخَ السِّياسيَّ للمَوْصِل، مُمهِّدًا في التّوطئة بأخبارِ الدُّوَل الّتي حَكَمَتِ المِنْطَقةَ الّتي فيها المَوصِلُ قبل نُشُوء المدينة، واستعرضَ بعد ذلك- بأربعةِ أبوابٍ مُتباينةِ الحجمِ تضمّ فُصُولًا مُتفاوتةَ العدد- تاريخَها مُنذُ نُشُوئها في حُدُودِ القرن الرّابع للميلاد، ثُمّ في العُصُور الإسلاميّة المُتعاقبة حتّى العصر الحديث وإنشاء المملكة العراقيّة وحُكْمِ الملكِ فيصلِ الأوّل. وصدر جُزؤه الثّاني (ويقع في ٢٩١ صفحة) في بيروتَ، المطبعة الكاثوليكيّة، سنة ١٩٢٨م، وتناولَ فيه التّاريخَ الثّقافيَّ والأدبيَّ والعلميَّ في المَوْصِلِ، وتَراجِمَ أُدبائها وكُتّابِها، وحركةَ التّأليف فيها بحسب ترتيب الدُّوَل الّتي حكمتْها. أمّا الجُزءُ الثّالثُ والأخيرُ (ويقع في ١٧٧ صفحة) فكان عُنوانُه الثّانويُّ «نفائس الآثار»، وقد طُبِعَ في مطابع الكريم- جُونْيَه (لُبنان) سنةَ ١٩٥٦م، وتناول فيه بالشَّرْح والوَصْف المُصَوَّر ما كَشَفَتْ عنه التّنقيباتُ في المَوْصِلِ ومُحيطِها من آثارِ الحضارات القديمة، وما احتوتْهُ من آثارٍ عُمرانيّةٍ دينيّةٍ ودُنيويّةٍ بحسب العُصُور التّاريخيّة. وظهرَ اسمُ المُؤلِّفِ ومرتبتُه الدّينيّةُ فيه بهذه الصّيغة: (المُطران سُليمان الصّايغ) في حين كان: (القَسّ سُليمان صائغ) في الجُزأين الأوّلين.

فصارَ واحدًا من أهمِّ التّواريخِ وأشملِها في العصْرِ الحديثِ لمدينةٍ كبيرةٍ عتيقةٍ، هي واحدةٌ من أُمّهاتِ مُدُن العراق.

وأهلّهما عملُهُما التّعليميُّ الرّائدُ ونشاطُهما الثّقافيُّ العامُّ أن يكونا من ضمن الهيئات الرّسميّة المعنيّة بِشُؤون التّعليم في البلاد، فقد كان الصّائغُ عُضوًا في لَجْنة المدارس الابتدائيّة

بالمَوْصِلِ في العهْدِ العُثمانيِّ، فيما انتُدِبَ الكرمليُّ عُضوًا في مجلس المعارف ببغدادَ عُقْبَ الاحتلال البريطانيِّ سنةَ ١٩١٧م، المُؤلَّفِ من خمسة أعضاء، كان من بينهم الشّيخ محمود شُكْري الآلوسيّ والشّاعر جميل صِدْقي الزَّهاوي، وبقيَ فيه نحوَ أربعةِ أعوامٍ.

وكانا رائدينِ في مجال القصّة المُترجَمة والمُؤلَّفة، وإذا كان الكرمليُّ صاحبَ سابقةٍ تاريخيّةٍ في ذلك، وإن لم تتواصلْ، فإن نَفَسَ الصّائغِ كان طويلًا في الكتابة الرّوائيّة والمسرحيّة المُسْتوحاةِ من التّاريخ غالبًا، وقدّمَ مشروعًا كبيرًا في هذا المجال[٩]، برزتْ فيه روايتُه «يزداندَوْخت الشّريفة الأربيليّة»[١٠] الّتي وَظَّفَ فيها الحدثَ التّاريخيَّ لتشييدِ بنائها الفنّيِّ. ومنحَ الرّجلانِ للصّحافةِ الثّقافيّةِ في البلادِ جُهْدًا رائدًا في إصدارِهما مجلّتين مُهمّتين، فكانت (لُغة العرب) مجلّةُ الكرمليِّ الشّهيرةُ، من أبرز ما صَدَرَ في العراق من مجلّاتٍ خلال القرن الماضي، فقد قدّمتْ مُنذُ بُرُوزِ عددِها الأوّلِ في١تَمُّوز/ يوليو ١٩١١م، حتّى احتجابَها نهائيًّا في أواخرِ سنةِ ١٩٣١م، تعريفًا غيرَ مسبوقٍ بالعراق قُبَيْلَ انعتاقه من الاحتلالِ التُّرْكيِّ الطّويلِ وما بعده، وواصلت عطاءها على مدى تسعةِ أعوامٍ ثريّةٍ فَصَلَتْ بينهما مُدّةُ انقطاعٍ نيّفتْ على العَقْدِ الكاملِ (بينَ سنةِ ١٩١٤ و١٩٢٦م).

كما شكَّلَ إصدارُ مجلّة (النَّجْم) بالمَوْصِلِ يوم ٢٥ كانُوْنَ الأوّلِ/ ديسمبر من سنةِ ١٩٢٨م إضافةً نوعيّةً أُخرى لصحافةِ هذه المدينةِ ذاتِ الصّلةِ بالجوانب التّاريخيّة والثّقافيّة العامّة، وظلَّتْ تُواصِلُ إصدارَها ما يقربُ من العَقْدين.

وإذا كان الآباءُ الكرمليّونَ ببغدادَ قد قدَّموا سابِقةً في دعم الكرمليِّ وتبنّي إصدارَ مجلّة (لُغة العرب)، وقبلها بستِّ سنينَ مجلّة «زُهَيْرَة بغداد» الّتي حرَّرها الكرمليُّ، فلقد تبنّتِ البطريركيّةُ الكِلْدانيّةُ إصدارَ مجلّةِ (النَّجْم) في المَوْصِلِ. لكنّ المسحةَ الدّينيّةَ كانت ظاهرةً في (النَّجْم) فقد أُريدَ لها أن تكون «مجلّة دينيّة تاريخيّة اجتماعيّة أدبيّة»، خلافًا لـ (لُغة العرب) الّتي كانت «مجلّةً أدبيّةً علميّةً تاريخيّةً».

وكما توقّفتْ (لُغة العرب) أكثرَ من عقدٍ ثُمّ استُؤنفَ إصدارُها، توقّف إصدارُ مجلّة (النَّجْم) لمُدةٍ مُقارِبةٍ (بينَ سنةِ ١٩٤٠ و١٩٥١م) ثُمّ استأنفتْ صُدورَها في تَشْرِيْنَ الأوّلِ/ اكتوبر من سنةِ ١٩٥١م إلى حينِ توقُّفِها النّهائيّ في شهرِ آذار/ مارس ١٩٥٥م[١١].

وكانت للرّجلينِ أدوارٌ مُهمّةٌ في تقدُّمِ الطّباعة في العراق، وإدارةِ مطابعَ والسّعي لاستجلابِ

(٩) تُنظَر قائمةُ أعماله في «مُعْجَم المُؤلِّفين العراقيّين في القرنين التّاسعَ عشرَ والعشرين ١٨٠٠-١٩٦٩»، گورگيس عوّاد: ٢/ ٥٩- ٦٠.

(١٠) صَدَرَتْ طبعتُها الأُولى بالمَوْصِلِ سنةَ ١٩٣٤م، في مطبعة النَّجْم الكلدانيّة بجُزأين، وصَدَرَتْ منها طَبْعةٌ ثانيةٌ سنة ١٩٥٣م، طُبِعتْ في مطبعة النَّجْم بالمَوْصِل (وهي تقع في ٥١٢ صفحة).

(١١) يُنقَل عن المُطران ميخائيل نجيب رئيسِ أساقفةِ المَوْصِلِ ومطارنتِها حاليًّا، وهو مُهتمّ بالتّوثيق الثّقافيّ، أنّ ثمّة عددًا وحيدًا صدرَ من مجلّةِ (النَّجْم) سنة ١٩٥٦م، بعد أن كانت توقّفت قبل ذلك بعامٍ.

حروفٍ جديدةٍ لتحسين نشْرِ الكُتُبِ والإصدارات الدّينيّة والدُّنيويّة. كما قدّما إسهاماتٍ في التّرجمة عن اللُّغات الغربيّة، وبرز نشاطُهما ذلك خصوصًا في مجلّتيهما.

ومثلما فتحَ الكرمليُّ البابَ مُشرَعًا في مجلّته ومجلسِه ووجدانه لشُبّانٍ مُثقَّفين من انتماءاتٍ عراقيّةٍ شتّى، أصبحوا بعد أعوامٍ شخصيّاتٍ ذاتَ ثقلٍ في تاريخِ ثقافةِ البلادِ، حتّى أنّني وصفتُه في إحدى مقالاتي بأنّه «رافعةٌ عملاقةٌ للمواهب»[١٢]، مكّن الصّائغُ شُبّانًا عديدينَ من مدينته للنَّشْر في (النَّجْم) بُرغمِ مسْحتِها الدّينيّة، وبرزت أسماءٌ منهم في الثّقافة العراقيّة برعايته.

ومنحتْهما قُدراتُهما الكِتابيّةُ وإنتاجُهما المُتنوِّعُ في حُقُولٍ عديدةٍ، وتواصُلُ نشاطاتِهما في مجالاتٍ ثقافيّةٍ اتّسعت مع الأيّام، وتضلُّعُهما من لُغاتٍ كثيرةٍ شرقيّةٍ وغربيّةٍ.. مكانةً مرموقةً داخلَ العراق وفي العالم العربيّ، واتّسعتِ الاستفادةُ من معرفتهما إلى الدّائرة العالميّة، ما نشَّطَ علاقاتِهما بعددٍ من كبارِ المُستشرقين في العالم. وأتاحت لهما تلك الشُّهرةُ أن ينضمّا لعُضويّة المجامع العلميّة، وإن كان الكرمليُّ الأكثرَ حُظْوةً في ذلك داخليًّا وخارجيًّا بعُضويّته في المجمعِ العلميِّ العربيِّ (مجمعِ اللُّغةِ العربيّةِ بدمشقَ حاليًّا) سنةَ ١٩٢١م، ومجمعِ اللُّغةِ العربيّةِ بالقاهرةِ مُنذ إنشائه سنةَ ١٩٣٤م، ولَجْنة التّأليفِ والتّرجمةِ والنّشرِ العراقيّةِ مُنذُ إنشائِها سنةَ ١٩٤٥م، أمّا الصّائغُ فقد انتخبَه المجمعُ العلميُّ العراقيُّ عُضوًا مُراسلًا فيه سنة ١٩٤٩م[١٣].

وكتبا كلاهُما عددًا كبيرًا جدًّا من المقالات والأبحاث، لكنّهما اضطُرّا إلى نشْرِ عددٍ غيرِ قليلٍ منها بأسماءٍ مُستعارةٍ لأسبابٍ شتّى، وكان حظُّ الكرمليِّ من ذلك أكبر أيضًا، لا سيما في العَهْد العُثمانيِّ. ويتحدّثُ الصّائغُ عن هذا الاضطرار من دُوْنِ أن يُوضِّحَ أسبابَه في سيرتِه المُقتضبةِ المُعنونةِ بـ «السِّيْرة الذّاتيّة للمُطرانِ سُليمانَ الصّائغِ »، الّتي دَوَّنَها يوم الجمعة ٢٠ أيْلُوْل/ سبتمبر ١٩٤٦م، مُشيرًا إلى نفسِه بضميرِ الغائبِ، ونشرَها الأبُ الدّكتور بُطْرُس حدّاد لأوّلِ مرّةٍ في مجلّة (بين النَّهْرين) سنة ٢٠٠٠م، وممّا قاله الصّائغُ فيها: «ومن ثُمّ عَكَفَ على إلْحاقِ (تاريخ المَوْصِلِ) بجُزءٍ ثانٍ، ففرغَ منه بسنةٍ واحدةٍ، وهو يُلاحِقُ الصُّحَفَ وينشرُ فيها مقالاتِه الواحدةَ بعد الأُخرى بإمضاءٍ مُستعارٍ»، مُستدرِكًا بقوله: «ولكنّ أصحابَ المصلحةِ كانوا عارفينَ بها ومُصفِّقينَ لها »[١٤]، لتتطابقَ حالُه مع حالِ

(١٢) «بين احتفاءٍ باهرٍ للنُّخَب بيوبيله سنة ١٩٢٨، وراهنِ تجاهُلِ ذكرى ولادته الـ ١٥٠: أنستاس الكرمليّ، بِشارةُ نهضةٍ وريادةُ تنوير»، حُسين محمّد عَجيل، مقالةٌ نُشِرتْ على صفحتين بجريدة (طريق الشّعب) البغداديّة، يوم الأحد ٧ آب/ أغسطس ٢٠١٦م، بمُناسبة مرور ١٥٠ عامًا على ولادة الكرمليِّ.

(١٣) بشأن عُضويّة الصّائغِ في هذا المجمعِ تُنظر: «خُلاصةُ أعمالِ المجمعِ العلميِّ العراقيِّ »، (مجلّة المجمع العلميِّ العراقيِّ): العدد الأوّل، ١٩٥٠م: ص٣٨٥. وكذلك «أعضاء المجمعِ العلميِّ العراقيِّ لسنة ١٩٤٩- ١٩٥٠»، المنشورة في العدد نفسه من المجلّة: ص٢١. و «الأعلام »، خير الدّين الزِّرِكْليّ: ٣/ ١٢٦.

(١٤) «السِّيْرة الذّاتيّة للمُطرانِ سُليمانَ الصّائغِ »، عُنيَ بنشْرِها الأب د. بُطْرُس حدّاد، مُلْحَق عدد جريدة (المدى) البغداديّة، الصّادر يوم ٢٤ أيّار/ مايو ٢٠١٢م. [نقلًا عن مجلّة (بين النَّهْرين)].

الكرمليِّ الّذي نشــرَ عددًا هائلًا من مقالاتِه مُذيَّلًا بأســماءٍ مُســتعارةٍ كان يعرفُها كثيرٌ من مُتابعيه فــي العراق والعالمِ العربيِّ، ووثَّــقَ تلميذه الوفيُّ گورگيــس عَــوّاد هذه الأســماءَ في قائمــةٍ طويلةٍ ضمَّت ٣٩ اسمًا مُستعارًا[١٥].

ومــع احتــلال الجيــش البريطانيّ بغــدادَ في ١١ آذار/ مــارس ١٩١٧م، ثُــمّ المَوْصِــلِ يوم ٣ تَشْــرِيْن الثّاني/ نوفمبر ١٩١٨م، فاتحتِ الإدارةُ الإنكليزيّــةُ الرَّجلينِ لإصدار مجلّــةٍ أو جريدةٍ في المدينتين بدعمٍ منها للتّعريف بالأوضاع الجديدة في البلاد، ولمُواجهة الدّعاية التُّركيّة، الّتي كان لها في ذلك الوقــت المُبكِّرِ من عُمر الاحتلال الجديد، بعضُ المُصغينَ والمُتعاطفين لأسبابٍ شتّى، كَمَنْ يُفضِّــلُ احتلالَ دولةٍ شــرقيّةٍ إســلاميّةٍ على غزوِ دولةٍ غربيّةٍ على غير ملّة الإسلام، فتعاون كلاهُما فــي ذلك- وهو موقفٌ ســلبيٌّ يُســجَّلُ عليهما من دون شــكٍّ- مُحاولَيْنِ النّأيَ بنفسيهما عن الدّعاية المُباشــرة لهذا الاحتلال الغربيِّ الجديد، مُركِّزَيْنِ على ترســيخِ رُوح المُواطنة، لكنّهما لم يستطيعا أن يُواصِلا خُطَّــةَ العملِ المُوْكَلَــةَ إليهما، فتركاه غيرَ آسِــفَيْنِ عليه بعد مُدَدٍ لم تطُلْ كثيرًا، لا سيما لدى الصّائغِ الّذي كتــبَ بمرارةٍ وندمٍ عن تجربته تلك في ســيرتِه الشّــخصيّةِ المُقتضبةِ، المُشــارِ إليها آنفًا، المُدوّنةِ ســنةَ ١٩٤٦م، ومِمّا جاء فيها قولُه: «كانَ من سُــوْءِ حظِّ هذا الكاهنِ الشّــابِّ أنّه دخلَ في خدمةٍ سياسيّةٍ لإدارةٍ بريطانيّةٍ احتلاليّةٍ مُتقلّبةٍ تقلُّبَ جوِّ الرّبيع »[١٦].

وفي حين أَوكلتِ الإدارةُ السّياســيّةُ البريطانيّةُ إلى الشّــخصيّةِ النّافــذةِ فيها، غيرتــرود بيل[١٧]، مهمّــةَ التّفاوضِ مــع الكرمليّ وتأميــنِ مُتطلّباتِ العمــلِ وأدواتِــه لإصــدارِ جريــدةٍ مُســتحدَثةٍ ظَهَــرَتْ ببغــدادَ باســمِ (العرب) ســنةَ ١٩١٧م، ومــن ثُمّ جريدة أُخــرى تحوّلتْ إلى مجلّةٍ باســمِ (دار السّــلام) ســنةَ ١٩١٨م، بعد أن تقــرَّرَ عدمَ إحياءِ (الــزّوراء) الجريدةِ الرّســميّةِ لِولايةِ بغدادَ مرّةً أُخــرى[١٨]، عَهَــدَ الكولونيلُ لِجْمَــن، الحاكمُ العســكريُّ البريطانيُّ للمَوْصِل[١٩] إلى سُــليمانَ

(١٥) وذلــك في مبحــثِ «تواقيــع مقالاتــه» ضمــن كتابِه المرجعيِّ «الأب أنســتاس ماري الكرمليّ، حياته ومُؤلَّفاته» الصّــادرِ ببغــدادَ ســنةَ ١٩٦٦م في الذّكــرى المئويّة لولادة الكرمــليِّ: ص١٩- ٢٢. وذكرَ گورگيس عوّاد باعثينِ حَمَلا أُستاذه على اتّخاذ هذا العدد الكبير من الأسماء المُستعارة، كان حدَّثه بهما شخصيًّا.

(١٦) «السّــيرة الذّاتيّة للمُطرانِ سُليمانَ الصّائغِ»، مُلحق عدد جريدة (المدى) البغداديّة، ٢٠١٢م.

(١٧) عُرِفــتْ بــين العراقيّين باســم (المِسْ بيــل)، تُوفّيتْ ببغــدادَ صباحَ الأحــد ١٢ تَمُّوْز/ يوليــو ١٩٢٦م عن ٥٨ عامًا، ودُفِنَتْ بمقبرة الأَرْمَن في البابِ الشَّرْقيِّ وسْطَ بغدادَ. تُنظَر مُقدّمةُ كتاب «العراق في رســائلِ المِسْ بيل»، ترجمة وتعليق: جعفر الخَيّاط (طبعة الدّار العربيّة للموسوعات): ص٢٠.

(١٨) وكانت (الزّوراء) اســتمرّت بالصُّــدُور المُنتظَمِ نحوَ خمسةِ عُقودٍ (بين سنة ١٨٦٩ و١٩١٧م).

(١٩) قتلَــه، فيما بعدُ، الشَّــيْخُ ضاري المحمــود هو وابنُه واثنــان من أتباعه في خــان النُّقْطَةِ بين بغــدادَ والفَلُّوْجةِ، يومَ الخميس ١٢ آب/ أغســطس ١٩٢٠م. يُنظَر: «الشّيخُ ضــاري آل محمــود رئيس قبيلــة زوْبَع، قاتــلُ الكولونيل لِجْمَــن في خــان النُّقْطة»، عبــد الحميــد العَلَوْجي وعزيز جاســم الحَجّيّــة، منشــورات (طبعــة مكتــب العَلَوْجــي الحَجّيّــة): ص٤١- ٥٥. وقــال المُؤلِّفــان في مُقدّمتهمــا (ص٦): «وشــاءت الصُّدفةُ أنّ يصدرَ هذا الكتابُ في الأوّل من شــهر شُــباط ١٩٦٨، وهو بذلك يُناسِب مرور أربعينَ عامًا على وفاة الشّيخ الثّائر».

الصّائـغِ بمهمّة إعـادة إصدارِ جريـدة (مَوْصِل) باللُّغة العربيّة فقط، وهي الجريدة الرّسميّة لِولاية المَوْصِـلِ الّتي صـدرت لأوّل مرّةٍ سـنةَ ١٨٧٩م، بالتُّركيّـة والعربيّة. فأخـذت تصدرُ بعد الاحتلال البريطانيّ مرّتين في الأُسـبوع باسم (المَوْصِل)، ثُمّ تولّاها من بعدِ الصّائغِ الصّحفيُّ اللّبنانيُّ أنيس الصَّيْداويّ[٢٠].

وتعـرّض الرّجـلانِ كلاهما إلى تجربـة النَّفْيِ المريـرة، وكانـت حصّـةُ الكرمليِّ منهـا فادحةً، فقد نفاه الأتراكُ سـنةَ ١٩١٤م، في خلال الحرب العالميّـة الأُولـى، إلـى مدينـة «قيصـري» فـي الأناضـول، فتوقّفت مجلّتُه (لُغـة العرب) بعد أن أصـدرَ منها ثلاثةَ مُجلَّداتٍ وبعضَ المُجلَّد الرّابع، ثُمّ أُعيدَ إلى بغـدادَ من منفاهُ، بعد أن مكثَ هناك ٢٢ شـهرًا. وفـي أواخـرِ سـنةِ ١٩٢٤م أَصدرتْ رئاسـةُ الكنيسـة الكرمليّة في بغدادَ، أمرًا يُلْزِمَه بالاعتـكاف النّهائيِّ في دَيْـرٍ للكرمليّين في حَيْفا بفلسـطينَ، والانقطاعِ الكُلِّيِّ عن العالم، والتّفرُّغِ التّـامِّ لعبـادةِ الخالِق إلـى نهاية العُمـر. فصدعَ بالأمـر، وغادر إلى حَيْفا، ثُمّ أثمرتْ جُهُودُ أطرافٍ مُتعـدِّدةٍ، داخليّةٍ وخارجيّةٍ، فـي الإفراج عنه بعد عامٍ واحـدٍ، فعادَ إلـى بغدادَ ثانيـةً، وعكفَ على بُحُوثه ودراساته في اللُّغة والأدب والتّاريخ[٢١].

أمّـا الصّائـغ فقـد تجمّعت عدّةُ أسـبابٍ- كما يقولُ- لتُعزِّزَ مسـاعيَ أكثر من طرفٍ كان يرغبُ في إبعاده عن بُؤرة المشهد الكَنَسِيِّ والاجتماعيِّ والثّقافـيِّ بالمَوْصِـلِ مطلـع عشـرينيّات القرن الماضي، بتواطُؤ سُلطة الاحتلال البريطانيّ الّتي كانت تشكُّ في أنّ ولاءه إنّما هو لفرنسا، مُنافستِها على حُكْم وِلاية المَوْصِل بعـد جلاءِ الأتراكِ عنها، فوُجِّهتْ له تُهَمٌ ثبتَ بُطلانُها بعد إجراء التّحقيق، لكـنّ براءته لم تُعْلَـنْ، كما ذكرَ بألمٍ في سـيرتِه الذّاتيّـة، وكان مـن نتيجتهـا مـا سـردهُ بقوله: «واقتضى أن يبتعدَ إلى خارجِ العراقِ برضاهُ، لكنّ السُّـلطةَ فرضتْ إرادتَها بنفيهِ إلـى الدَّيْرِ بجانبِ ألْقوْش، حيثُ قضى سـنَةً ونَيْفًـا، احتملَ الكاهنُ الشّـابُّ عذابًا أليمًا»[٢٢]. وافتخر في سـيرته بأنّه نجحَ في اسـتثمارِ هذه العُزلةِ في الدَّيْر بمُطالعة مصادرِ تاريخ مدينته، ثُـمَّ أتمَّ فيها تأليفَ الجُزءِ الأوّلِ من كتابِه الكبيرِ في تاريخِها[٢٣].

واشـتركَ الرّاهبـان كلاهُمـا فـي الاهتمـامِ باقتنـاءِ المخطوطـاتِ العربيّـةِ النّـادرةِ وجمعِها

(٢٠) يُنظَر: «تاريخ مطبعة الحكومة في المَوْصِل»، رُفائيل بُطّـي، مجلّة (لُغـة العرب) البغداديّة، الجُزء التّاسـع من السّـنة الخامسـة، الصّـادر [في الرُّبـع الأخير من] سـنة ١٩٢٨م: ص٥٢٩.

(٢١) يُنظَر مَسْرَدُ حياة الأب أنسـتاس الكرمليّ في مُقدّمة كتابي الموسومِ بـ «رسائل الأُستاذ الرّئيس مُحمّد كُرْد علي إلى الأب أنسـتاس مـاري الكرمليِّ»، (طَبْعـة مجمعِ اللُّغةِ العربيّةِ بدمشقَ): ص٥٠، ٥٢- ٥٣.

(٢٢) «السّـيرة الذّاتيّة للمُطرانِ سُليمانَ الصّائغِ»، مُلْحق عدد جريدة (المدى) البغداديّة.

(٢٣) لم يذكـرِ الصّائغُ تاريخَ نفيهِ هـذا، ولكن بعد رَبْطِ هذه الإشارةِ إلى كتابِه عن تاريخ المَوْصِلِ مع تاريخِ رسالتِه الأُولى والثّانيـة إلى الكرمليِّ، يُمكننا اسـتنتاجُ أنَّ نفيَه وقعَ في الرُّبـعِ الأخيرِ من سـنةِ ١٩٢٢م، في تاريـخٍ يلي يومَ ٢١ أيْلُوْل/ سـبتمبر من ذلك العام، وهو تاريخُ رسـالتِه الأُولى إلى الكرمـليِّ الّتـي كان عُنوانُه فيها هو مقـرَّ البَطْرَكْخانة الكِلْدانيّة بالمَوْصِل، وبذلك اسـتمرَّ النَّفْيُ حتّى نهايةَ سنةِ ١٩٢٣م، وهـو تاريـخُ صُـدورِ الجُزءِ الأوّلِ مـن كتابه في القاهرة.

فـي مكتبتيهمـا الشّـخصيّتين القيّمتيـن[٢٤] أو فـي مكتبةِ دَيْـرِ الكرمليّين ببغـدادَ والبطريركيّة الكِلْدانيّة بالمَوْصِلِ، والإفادِة منها في اشـتغالِهما بالتّأليـف والبَحْـث، بوصفِها من بيـن أهمِّ أوعيةِ المعرفةِ للّغويِّ والمُؤرّخِ والباحثِ. وكان الدّكتور داودُ الجَلَبِـيُّ المَوْصِلـيُّ هـو أوّلُ مَن أشـار إلى خِزانةِ كُتُبِ الصّائـغِ الخّطيّةِ في كتابِه المرجعيِّ الرّائـدِ عـن مخطوطـات المَوْصِلِ الصّادر سـنة ١٩٢٧م[٢٥]، ولكـنْ كان ما اقتنـاه الكرمليُّ منها أكبر وأعظم[٢٦]، على الرّغـم من نَكْبَتِه فيها حينَ انسـحبَ الجيـشُ العُثمانـيُّ من بغـدادَ يومَ ١١ آذار/مـارس ١٩١٧م مُتقهقِرًا أمامَ تقدُّمِ القُوّاتِ البريطانيـةِ المُحتلّةِ، فقد شـكا مـن عَبَثِ الجُنودِ الأتراكِ بخِزانةِ كُتُبِه النَّفيسـةِ، قُبَيْلَ انسـحابِهم، وقال إنّهم أتلفوا وأحرقوا وسرقوا نسبةً كبيرةً من مُحتوياتها الثّمينة.

ولـو شـئنا التّوسُّـعَ فـي المُقارنـة بين حالي الرّجلين لكانَ المجـالُ أمامنا رَحْبًا، ولكن نكتفي بذلـك مُشـيرينَ فـي عُجالـةٍ إلى وجهـي افتراقٍ مُهمّيـنِ بينهمـا: الأوّلُ أنّ الكرمليَّ عُـرِفَ خارجَ

(٢٤) نـوهَ محمود فهمي درويش، مُؤلِّفُ «الدّليل العراقيّ الرّسـميّ لسـنة ١٩٣٦ »: ص٨٦٤، بالمكتبة الشّـخصيّة لأنسـتاس الكرمليِّ حين ترجمَ له ترجمةً لعلّها الأوسعُ بين مَـن ترجمَ لهم مـن مُثقّفي العراق الأعلام في هـذا الدّليل، فقـال: «وقد جمـعَ الأبُ مكتبـةً تُعَدُّ من أنفـسِ المكتبات الخاصّـة بما حَوَتْهُ من كُتُـبٍ مخطوطةٍ وغيرها». كما نوه مُؤلِّفو «دليل الجُمهوريّة العراقيّة لسـنة ١٩٦٠ »، (وهم: محمود فهمي درويش والدّكتور مُصطفى جَواد والدّكتور أحمد سوسة، ومُساعِدون آخرون)، الصّادرِ سنةَ ١٩٦١م: ص٥٤٣، بمكتبة المُطْرانِ سُـليمانَ الصّائـغِ، وقالوا عنها في بـاب (المكتبـات الخاصّة) ما هذا نصُّـه: «مكتبة القَسِّ سُـليمانَ الصّائـغِ: أنشـأها في المَوْصِلِ سـنةَ ١٩٣٣. فيها (٣٠٠٠) مُجلَّـد مطبوع، بالعربيّـة والسُّرْيانيّة واللّاتينيّة والفرنسـيّة والإيطاليّـة والإنكليزيّـة. وهي مكتبـة قيّمة، تدور موضوعاتُها على الأدبـين السُّرْيانيّ والعربيّ والدِّين والفلسفة والاجتماع واللُّغات».

(٢٥) يُنظَـرُ كتابُـه الموسـومُ بـــ «مخطوطـات المَوْصِل: وفيـه بحث عن مدارسـها الدّينيّة ومـدارِس مُلحقاتها »: ص٢٩٥، فقـد ذكر تحـت عنوانٍ فرعيٍّ سـمّاهُ «من كُتُب (القَـسِّ سُـليمانَ الصّائغِ)» سـتَّ مخطوطاتٍ لـه، أهمّها الكتـابُ الخَطِّيُّ السّـادسُ: «مَقامات أبـي العبّاس يَحْيى بن سـعيدٍ بن ماري، وهي ٦٠ مَقامةً. يَبانُ أنّها نُقِلتْ عن نُسْـخةٍ قديمةٍ مُؤرَّخةٍ سنة ٦٤٨ ». واسـتخدام التَّبْعِيْضِ في العُنوانِ الفرعيِّ أعلاهُ، يُشيرُ إلى أنّ للصّائغِ مخطوطاتٍ أُخرى غير تلك السِّـتِّ المعدودةِ في الكتاب، لم يشأ أن يُعلن عنها، ولعلّ بينها كُتُبًا دينيّةً مسيحيّةً.

(٢٦) في سـنةِ ١٩٥٠م أهدى دَيْـرُ الآباءِ الكرمليّينَ ببغدادَ خِزانةَ مخطوطاتِ الأبِ أنسـتاسَ الكرمليِّ النّفيسةَ- البالغ عددُ ما فيها ١٣٣٥ مخطوطةً- إلى مكتبةِ المُتْحَفِ العراقيِّ، لتُصبـحَ أعظـمَ مُحتوياتِ تلـك المكتبـةِ. يُنظَرُ بشـأنِها: «مخطوطـاتُ الكرمليّـينَ في خِزانـةِ المُتْحَـفِ العراقـيِّ»، گورگيس عوّاد، مجلّة (سـومر) البغداديّة، المُجلّد السّـابع الصّـادر سـنةَ ١٩٥١م: ص٢٧٨- ٢٨٣. ثُمّ تولّى الباحثُ حكمت رَحْماني فَهْرَسَـةَ مُؤلّفاتِ الأبِ أنسـتاسَ الكرمليِّ الخطّيّـةِ المحفوظـةِ في دَيْـرِ الآبـاءِ الكرمليّـينَ ببغدادَ مع مـا تبقّـى مـن المخطوطـاتِ القديمـةِ الّتـي كانَ اقتناها وأودعَها في الدَّيْر، وذلك في فِهْرِسـه الموسـومِ بـ «فِهْرست مخطوطاتِ دَيْرِ الآباءِ الكرمليّينَ ببغدادَ» المنشورِ في مجلّة (المـورد) البغداديّة، العدد الأوّل من المُجلّد الثّاني، الصّادر في شـهر آذار- مـارس ١٩٧٣م: ص١٥٤- ١٦٨. وكانَ مجموعُ المخطوطاتِ المُفهرَسةِ ٥٥، بينها ٢٨ من مُؤلّفات الكرمليِّ و٢٧ من مخطوطاتـه المُقتناة. وبعد عشرة أعوامٍ على نشرِ ذلك الفِهْرِسـت، تـولّى الباحثُ الدّكتـور بُطْرُس حـدّاد فَهْرَسَـةَ ما بقـيَ محفوظًـا من مخطوطـاتِ الأبِ سُـليمانَ الصّائغِ ليُنشَرَ في المجلّةِ نفسِها، وذلك في فِهْرِسه الموسومِ بـ «فِهْرِست مخطوطات المُطْران سُليمان الصّائغ وأخيه موسى الصّائغ »، المنشـورِ في العددِ الأوّلِ من المُجلّدِ ١٢، الصّـادرِ في ربيـعِ سـنةِ ١٩٨٣م: ص١٣٥- ١٥١. وبلغ مجموعُ ما فهرسَـهُ ٨٥ مخطوطةً مُدوَّنـةً بالعربيّةِ والسُّريانيّة، ٣٨ منها تعود مُلكيّتُها إلى سُليمانَ الصّائغ.

الإطارِ الكهنوتـيِّ بوصفِه لُغويًّا فـي الأغلب على تعدُّدِ حُقُولِ اشتغالِه الثّقافيّةِ وتنوّعِها مع التّبريزِ فيهـا، فيمـا غَلَبَـتْ صِفةُ المُـؤرِّخِ على سُـليمانَ الصّائغِ حتّى وهو يكتبُ أعمالًا روائيّةً ومسرحيّةً، وتُظهِرُ رسـائلُه هذه شيئًا من الضَّعْفِ في بعض صياغاتِـه اللُّغويّـةِ أشـرنا إليهـا فـي الهوامش. والآخِرُ أنَّ الكرمليَّ تلقّى في نهاياتِ القرنِ التّاسعَ عشـرَ تعليمًا عامًّا ودينيًّا في بغدادَ ثُمّ في بيروتَ فبلجيكا وفرنسـا، أهَّلَه لتوسـيعِ خبراتِه ومداركِه وشـبكةِ علاقاتِه ودائرةِ اهتماماتِه، فيما اقتصرتْ دراسـةُ الصّائغِ على مدارسِ مدينتِـه ومعاهدِها الدّينيّةِ، لكـنّ هذا لم يكن حاجزًا أمـام تطلُّعاتِه، فبرزَ شخصيّةً مرموقةً في بلاده.

وأخيـرًا، قُدّرَ لسُـليمانَ الصّائـغِ أن ينتقلَ إلى بغدادَ في أَواخِرِ عُمره، وذلك عُقْبَ تنصيبِه مُطْرانًا على المَوْصِل سنةَ ١٩٥٤م[٢٧]، ثُمّ نائبًا بطريركيًّا للكِلْدان[٢٨]، بعد أن انتقل البطريركُ مار يُوسُـف السّـابع غَنِيْمة مـن المَوْصِلِ إلـى عاصمةِ البلاد، ولكنّ هذا الانتقال جرى بعد رحيلِ الكرمليِّ بأكثر من عَقْد.

مضامينُ الرّسائلِ وإشاراتُها

يمتدُّ زمنُ كتابةِ الرّسـائلِ التّسعِ بين سنة ١٩٢٢ و١٩٣١م، وهـذا يُؤشِّـرُ كمًّا نَزْرًا بمُعدلِ رسـالةٍ واحدةٍ سنويًّا، ونُرجِّح أنّ لقاءاتٍ عدّةً جمعتْ بين الشّـخصيّتين في هـذه المُدّة من خـلال زيارات الصّائـغ إلى بغدادَ الّتي أشـار إليها في سـيرته الذّاتيّـة، خُصُوصًا حين كان من أبرزِ الأعضاءِ في لَجْنةِ الدّفاعِ الوطنيِّ عن المَوْصِلِ[٢٩] الّتي شكَّلتها الحكومةُ العراقيّةُ سـنةَ ١٩٢٥م برعايةٍ من الملك فيصل الأوّل دفاعًا عن عراقيّةِ وِلايةِ المَوْصِلِ (الّتي تشـملُ اليومَ مُحافظاتِ: نِيْنَـوَى وكركوكَ وأربيلَ ودهوكَ والسُّـليمانيّةَ وحَلَبْجَـةَ، فضلاً عن قضاءِ الشِّـرْقاط بمحافظةِ صلاح الدّيـن وقضاءِ كِفْرِي بمحافظـة ديالى)، أمـامَ مُطالبة تُركيـا بضمِّها إليهـا، وعُهِد إليـه بكتابـة القسـمِ التّاريخيِّ من تقرير لَجْنةِ الدّفاعِ الوطنيِّ[٣٠]، حتّى نجحَ العراقُ فـي إثبـات عائديّتها إليه من خلال اسـتفتاءٍ عامٍّ لسُـكّانِ هذه الوِلايةِ- بتدبيرٍ مـن بريطانيا الدّولةِ المُحتلّةِ الجديدةِ الطّامعةِ في النّفطِ المُستكشَـفِ فيها- ومن ثـمّ الحُصُول على اعترافٍ من مُنظمة عُصْبـةِ الأُمم بكونِ وِلايةِ المَوْصِـلِ جُزءًا لا يتجزّأُ من العراقِ، كما هو واقعُها التّاريخيّ الثّابت قديمًا وحديثًا.

اشـتملتِ الرّسـائلُ التّسعُ على مداولاتٍ علميّةٍ غالبًا بيـن الرّجلين، بحثًا عـن رأيٍ في موضوعٍ، أو توثيقًـا لحدثٍ، أو إحالةٍ على مصدرٍ مفقودٍ، أو طلبًـا لمعلومةٍ مُدقّقةٍ في زمـانٍ كان فيه الكتابُ المخطوطُ الأصليُّ مُتاحًا بين أيدي الباحثينَ وفي مكتباتهم الخاصّةِ، ولا يزالُ فيه الكتابُ المطبوعُ قليلَ التّوفُّر في أنحاءِ العراقِ نسبيًّا؛ لشُيوعِ الأُمّيّةِ

(٢٧) يُنظَر: «مسيحيّو العراق»، سُهيل قاشا: ص٣١١، و«موسـوعة أعـلام وعُلمـاء العـراق»، حميـد المَطْبَعـيّ: ص٣٣٥.

(٢٨) يُنظَر: «أعلام الأدب في العراق الحديث»: ١/ ٣٠٤.

(٢٩) يُنْظَـرُ: «الدّليل العراقيّ الرّسـميّ لسـنة ١٩٣٦ »: ص٨٩١، في ضمن ترجمةِ الصّائغِ بالدّليل، المُوَسَّعةِ نسبيًّا.

(٣٠) يُنظَر: «أعلام الأدب في العراق الحديث»، مِيْر بَصْرِي: ١/ ٣٠٣.

وقلّــةِ المُؤلّفينَ وتخلُّــفِ المطابعِ برغم الاتّســاع فــي انفتاحِ البلادِ على العالمِ بعدَ الحربِ العالميّةِ الأُولى.

ابتــدأتْ هذه المُراســلاتُ والصّائــغُ مُنهمِكٌ في تدويــنِ الجُــزءِ الأوّلِ مــن كتابِــه الأشــهرِ والأهمِّ «تاريــخ المَوْصِل»، فرســالتُه الأُولــى مُؤرّخةٌ في ٢١ أيْلُوْل/سبتمبر ١٩٢٢م، أي قبل بضعةِ أشهرٍ علــى صُدور ذلــك الكتــاب مطبوعًا فــي المكتبة السَّلَفيّة بالقاهرة لصاحبها مُحبّ الدّين الخطيب، وهــي تُظهِرُ مدى انهماكِه في كثيرٍ من التّفاصيلِ الصّغيرةِ لإخراجِ كتابِه على ما يرغبُ من الاتقانِ، مُلْتَمِسًــا مُساعدةَ الكرمليِّ في مســألتين، الأُولى: التّأكُدُ من وُرودِ معلومةٍ تاريخيّةٍ مُرتبطةٍ باستيلاء قيصــرِ روما- الّذي يُســمّيه طرايانوس، كما كان يفعلُ قُدامى مُؤرِّخي العرب- على ســواحلِ دجلةَ في أنحاءِ المَوْصِلِ سنةَ ١١٤م وإنشائه مُستعمرةً رُومانيّــةً هُنــاك، في بعــضِ المظــانِّ التّاريخيّةِ المحفوظةِ في خِزانةِ الكرمليِّ العامرةِ. والأُخرى: طلبُه معلوماتٍ من الكرملــيِّ عن الجَرامِقةِ الّذين كانــوا يســكنونَ فــي أنحــاءِ المَوْصِــلَ وذكرتهم المصادرُ التّاريخيّةُ من دون تعريفٍ شــافٍ بهم، وهــو يعرفُ مدى اهتمامِ الكرملــيِّ مُنذ عُقودٍ في كتابةِ مباحثَ تاريخيّةٍ غيرِ مســبوقةٍ عن كثيرٍ من الأقوام والنِّحَلِ والمِلَلِ ونَشْرِها في أبرز الدّوريّات العراقيّة والعربيّة.

وتُشــيرُ هذه الرّسائلُ، أيضًا، إلى محطّاتٍ ذاتِ أثرٍ في السّــيرةِ المعرفيّةِ والصّــلاتِ العلميّةِ الّتي ربطتْ بين الصّائغِ والكرمليِّ، فقد جاءت رســالةُ الصّائــغِ الثّامنةُ المُؤرَّخةُ فــي ١٣ كانُوْنَ الأوّلِ/ديســمبر ١٩٣١م لتُوثِّقَ بعضًا مــن رُدودِ الفعلِ المُؤثرةِ علــى توقُّفِ مجلّةٍ كانت لهــا الرّيادةُ في صحافةِ العراقِ الثّقافيّةِ مطلعَ القرن العشــرين، وتُشــكِّل لحظــةً مفصليّــةً فــي حيــاة الكرمليّ، فيقــولُ فيهــا بكلماتِ تضامُــنٍ شــفيفةٍ «بمزيدٍ من الأســفِ اطّلعــتُ علــى عزمِكــم في[٣١] حَجْبِ مجلّتِكــم العصمــاءِ (لُغة العرب) للأســبابِ الّتي أوردتُموها. أقولُ بمزيدِ الأســفِ؛ لأنّي كنتُ مُغْرَمًا في مطالعتِهــا، وكنتُ أجني منها ما لا يســتطيعُ أن يجنيَــه الواحدُ مــن أوراقٍ وزُهُــورٍ مُعَطَّرةٍ في جُنينةٍ فيحاءَ عامرةٍ. فيمكنُكم- والحالةُ هذه- أن تُدرِكوا أيّهــا المُحترَمُ مَزيدَ حِرمانــي، وبالنّتيجةِ مزيدَ أسفي».

ولــم ينسَ الصّائــغُ أن يفتحَ لِمَــن يعده بمقامِ الأُســتاذ والصّديقِ صفحاتِ مجلّتِه، مُستكتِبًا إيّاهُ بتواضعٍ جميــلٍ، قائلًا: «ولَمَّا كان المنبعُ الصّافي الغزيــرُ يأبى إلّا أن يتدفَّقَ بمائه العَذْبِ، فلا بُدَّ أن تجودَ قريحتُكــم الغنيّةُ الثّامرةُ، ولا بُدَّ أن تعرِضَ ثمارَها لطُلّابِها، فاسْمحوا لي أن أُقدِّمَ لحضرتِكم مجلّةَ (النَّجْــم) الّتي على فَقْرِها تودُّ أن تلبسَ من مقالاتِكم الشّــافيةِ ثَوْبًا قشــيبًا. وتأكَّدوا في هذه الفُرصةِ جزيلَ إخلاصي واحترامي لحضرتِكم ».

وقد اســتجابَ الكرمليُّ- الّذي كان، يومئذٍ، واحدًا من أبــرز الكُتّــابِ العربِ وأشــهرِهم، وتتســابقُ إداراتُ كُبرى الصُّحُفِ والمجلّات العربيّة في مصر والشّــام والعراق، وأهمّ الدّوريّات الاستشــراقيّة، على نَشْــرِ بُحُوثِه ومقالاتِه- لهذه الدّعوة، ولا شكَّ في أنّه قدّرها، وفتحتِ البابَ لِنَشْــره مقالتينِ في مجلّــة (النّجــم)، بعد توقُّــفِ مجلّتِه، فنشــرَ أوّلَ

(٣١) كذا.

مقالــةٍ له بعُنــوان «الدُّرْقاعــة »[٣٢]، وتلتْها مقالةٌ عُنوانُها «العبقريُّ وأَصْلُها »[٣٣].

وتُقــدِّمُ الرّســائلُ أُنموذجًــا لعلاقــةٍ علميّةٍ بين شــخصيّتين دينيتيــنِ عراقيّتيــنِ تميّزتــا بعطاءٍ ثقافــيٍّ رائــدٍ، فهمــا يُمثّــلان خطًّا لظاهــرةٍ في القَسَسِ الّذين قدّموا جُهْدًا فكريًّا قيّمًا خارجَ إطارِ اشتغالِهم الدّينيّ، يستحقُّ دراسةً خاصّةً، لا سيما أنّ هــذا الخطَّ اســتمرّ يُقدِّمُ، في العــراق، نماذجَ جديدةً بعد جيل الرُّوّاد.

وتتّســمُ رسائلُ الصّائغِ، المكتوبةُ بخطٍّ واضحٍ جميلٍ، بلُغةٍ وظيفيّةٍ ســهلةٍ، تنشُدُ- غالِبًا- تحقُّقَ المُــراد بأقــرب الألفــاظ وأوضحِهــا، ومــن دُون عنايــةٍ- أحيانًا- بما قد تفرضه قواعــدُ اللّغة، ولا ســيما أحرف تعــدّي الأفعال، لكنّهــا لا تخلو من الشّــذرات ذاتِ الطّابع الأدبــيّ كما في كلامه على احتجاب مجلّة (لُغة العرب) في الرّســالة الثّامنة. ويتّضحُ الفارقُ كبيرًا بين لُغة هذه الرّسائل وبين لُغــة أُنموذجٍ آخرَ للصّائغِ فــي زمنٍ مُقارِبٍ، أعني به كلمةَ إهــداءِ كتابِه «تاريــخ المَوْصِل» المطوّلةَ إلى الملكِ فيصل الأوّل ســنةَ ١٩٢٣م، المنشــورةَ فــي مُقدّمة الجــزْء الأوّلِ من الكتــاب، الّتي التزمَ بمخاطبة الملكِ فيها بعباراتٍ مسجوعةٍ وصياغاتٍ تقليديّــةٍ أخذَ كُتّابُ ذلك الزّمانِ بمُغادرتها شــيئًا فشيئًا.

وتُظهِرُ الرّســائلُ الصّلــةَ الإيجابيّةَ بين الصّائغِ ونُخبةٍ طيّبةٍ من أبناءِ مدينتِه من الأديان المُختلفة، فهو يقولُ مثلًا في الرّســالة الرّابعة المُؤرّخة في ٢٧ حَزِيْران/يونيو ١٩٢٩م، مُتحدِّثًا عن مُلابسات الحُصول علــى مخطوطةِ ديــوانِ الجَعْدِيِّ- وهو شــاعرٌ جاهلــيٌّ مُخضــرَمٌ أدركَ الإســلامَ- الّتــي كان ينتظرُهــا الكرمليُّ: «أَنّــي مُنتظِرٌ عبدَ الباقي جنجون أن يعودَ من الحَجِّ، وكنتُ أُؤَمِّلُ أنّه لا يردُّ لي طَلَبًــا بناءً على صداقتي معــه»، وهو يتحدّثُ هُنا عن الشّخصيّةِ المُوكَلِ إليها حِفْظُ مخطوطاتِ مدرســةِ الحَجِّيّــاتِ[٣٤] في المَوْصِلِ، الّذي تُشــيرُ الرّســائلُ إلى نهاية مُؤلمةٍ لحياتِه. وهذه الإشارةُ تُذكِّــرُ بالصِلاتِ الحميمةِ للصّائغِ مع شــخصيّاتٍ من خــارجِ طائفتِه، شــكرَها فــي مُقدّمــةِ كتابِه «تاريــخ المَوْصِــل» بجُزئه الأوّلِ على مســاعداتٍ قدّمتهــا إليه عنــد تأليفِ الكتابِ، وهــؤلاء يُمثّلونَ جُملةً من أعيانِ مدينة المَوْصِلِ ورجالاتِها، وكُلُّهم

(٣٢) نُشِرتْ في السّنة الرّابعة من مجلّة (النَّجْم) المَوْصِليّة، ١٩٣٢م: ص١٧٤- ١٧٦. والدُّرْقاعــة: صَخْــنٌ مســقوفٌ تُغطّى أرضُها بالفُسَيْفساء، وتتوسّــطُها أحيانًا النّافورةُ، وينخفضُ مُستواها بمقدارِ درجٍ واحدٍ عن مُستوى أرضيّةِ إيواناتِ الجُلُوس.

(٣٣) نُــشِرتْ في السّــنة الخامســة مــن مجلّــة (النَّجْــم) المَوْصِليّة، ١٩٣٣م: ص٦٢٧- ٦٣٦.

(٣٤) أنشــأتها ســنة ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م، الحاجّةُ عادلة خاتــون والحاجّةُ فتحيّــة خاتون، ابنتا عبد الفتّاح باشــا بن إســماعيل الجَليــليّ (الّذي كان واليًا على المَوْصِل ســنة ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م)، وأَلْحَقَتا بها مكتبةً في العامِ نفسِــه حَــوَتْ على ٣٤٤ مخطوطًا و٨٢ كتابًــا، وَوَقَفَتا لها أوقافًا كثيرةً. تقعُ المدرسةُ في مَحَلَّة القَنْطرة (الحويرة) بالمَوْصِل القديمــة، قريبًا من جامع (الزّيواني). وكان الدّكتور داود الجَلَبــي المَوْصِــليّ هو أَوَّلَ مَــن فَهْــرَسَ مخطوطاتِ هذه المدرسةِ سنةَ ١٩٢٧م في كتابِه الرّائد «مخطوطات المَوْصِل: وفيــه بحث عن مدارســها الدّينيّة ومــدارِس مُلحقاتها »: ص٩٩- ١٢٠، ثُمّ خَصَّصَ ســالم عبد الرّزّاق أحمد الجُزءَ الثّالــثَ مــن كتابه «فِهْــرِس مخطوطات مكتبــة الأوقاف العامّــة في المَوْصِل» الصّــادرة طبعتُه الثّانيــةُ ببغدادَ عن وزارة الأوقاف والشُّــؤون الدّينيّة العراقيّة ســنةَ ١٩٨٢م، لِفِهْرَسةِ مخطوطات هذه المدرسة بعد أن ضُمّت إلى مكتبة الأوقــاف. ويُنظَرُ أيضًــا: «المكتبات العامّــة المَوْصِليّة مُنذ القرن الثّامنَ عشرَ وحتّى القرن العشرين»، قُصَي حُســين آل فَرَج (دار غيداء للنّشر والتّوزيع): ص٥٥.

مُسلمون، وخصَّ بالذِّكْرِ نقيبَ الأشرافِ في المَوْصِلِ السّيّد عبد الغني النّقيب، والحاجّ أمين الجليليّ، والسّيّد عبد اللّه آل سُليمان بك، والسّيّد أمجد العُمَريّ. وهو أمرٌ يُرسِّخُ تصوُّرَنا عن حالةِ التّعايشِ الإيجابيِّ، الّتي سادتْ آنذاك في هذه المدينةِ ذاتِ التّاريخِ العريقِ، بين سُكّانِها من مُختلفِ القوميّاتِ والانتماءاتِ الدّينيّةِ والمذهبيّةِ، ولعلّ بها حاجةً ماسّةً إليها اليومَ بعد أن فقدتْ بسببِ محنتِها وفظاعاتِ التّهجيرِ القسريِّ نسبةً مُؤثِّرةً من أبنائها، ولا سيما المسيحيّين منهم.

ومع أنّ الصّائغَ والكرمليَّ رجلا دينٍ كاثوليكيّان يتبادلان الرّسائلَ الشّخصيّةَ فيما بينهما، وما كانا يظنّان أنّها ستُنشرُ بعد عقودٍ، فلم تظهرْ برغم ذلك في رسائلِ الصّائغِ هذه أيّةُ عبارةٍ تُشَمُ منها رائحةُ التّعصُّبِ أو التّقليل من شأن مُنتحلي الأديانِ والمُنتمين للطّوائفِ والطّرائقِ والقوميّاتِ الأُخرى. وحتّى حينما يصفُ الصّائغُ شخصًا من غيرِ دينِه ماطَلَه في تسليمِ مخطوطةٍ لديه ليُصوِّرَها، بأنّه «من أصحابِ الأدمغةِ الصَّخْريّةِ»، يعودُ إلى التّهكُّمِ من بعضِ البُخلاءِ من أغنياءِ طائفتِه ممّن يحتجنونَ الدَّراهِمَ فلا يستفيدون ولا يُفيدون غيرَهم. وهو أمرٌ يدلُّ على نظافةِ عقلِ الصّائغِ من أدواءِ التّعصُّبِ.

كتبَ الصّائغُ في الرّسالة الثّالثةِ المُؤرّخةِ في ٣ حَزيْران/ يونيو سنةَ ١٩٢٩م- الّتي تُؤشِّرُ انقطاعًا بين الرّجلينِ دامَ أكثرَ من ستِّ سنواتٍ ولا تُعرَفُ أسبابُه- مُتحدِّثًا عن مُحاولتِه لتلبيةِ طلبِ الكرمليِّ في الحُصُولِ على صُورةٍ لمخطوطةِ ديوانِ الجَعْدِيِّ من ابنٍ للقائمِ على مكتبةِ مدرسةِ الحَجِّيّاتِ في المَوْصِلِ: «ذهبتُ عنده ثلاثَ مرّاتٍ وهو يُماطلُني بالبحثِ عن ديوان الجَعْديِّ. وفي المرّةِ الأخيرةِ اعتذرَ بأنّ الكتابَ مفقودٌ؛ لأنّه فتّشَ عنه ولم يجده. وأظنُّ أنّ الأمر ليسَ كذلك؛ لأنَّ أمثالَ هؤلاءِ من أصحابِ الأدمغةِ الصَّخْريّةِ يظنّونَ أنّ هذه الكُتُبَ كُنوزٌ لا بُدّ من الإغلاق عليها كما يغلِقُ أغنياؤنا على دراهِمِهم فلا يستفيدونَ منها ولا يُفيدون العاملَ الفقيرَ».

لم يتطرّق الصّائغُ في رسائلِه إلى أُمورٍ تشغلُه ذاتِ طابعٍ ذاتيٍّ، ويبدو أن شخصيّتَه كانت تتّسمُ بقدَرٍ من التّكتُّمِ في هذا المجال، كما يتبدّى ذلك في سيرته المنشورة، ورُبّما شكَّلَ فارقُ العشرينَ عامًا بين الرّجلينِ نوعًا من الحاجزِ أمامَ الصّائغِ ليأخذَ بالحديثِ على سجيّتِه في مسائلَ تخرجُ عن إطارِ المُراجعاتِ العلميّةِ، إذ يظهرُ الكرمليُّ في الرّسائل بمقامِ الأُستاذِ من الطّالبِ، هذا فضلًا عن أنّ المكانةَ الرُّوحيّةَ لهما تضعهما أحيانًا خارجَ إطارِ الاهتمامِ بالشُّؤونِ الشّخصيّةِ المَحْضَة.

لكنَّ الرّسائلَ تحتوي، مع ذلك، على جُملةِ نشاطاتٍ ثقافيّةٍ أو اجتماعيّةٍ للصّائغِ، منها ما ورد في الرّسالةِ الثّانيةِ المُؤرّخةِ في ١٩ شُباط/ فبراير ١٩٢٣م، عن نشْره قِطْعَةً من مخطوطةٍ نادرةٍ عن تاريخ المَوْصِل في عددٍ ممُتازٍ من جريدة (العراق) البغداديّة لصاحبها رزّوق غنّام، شاركَ في الكتابةِ فيه أهمّ أعلام الأدب والثّقافة

في البلاد[٣٥]، وتُوثِّقُ الرّسائل جوانبَ من حياتِه وتكشفُ عن منزلتِه الاجتماعيّةِ في المَوْصِلِ، لم أجدْ لها ذِكْرًا في مصادرِ ترجمتِه. فهو في الرّسالةِ الثّانيةِ- المُشار إليها أعلاه- يقول مُعتذِرًا عن تأخيرٍ في إجابةِ رسالةٍ تلقّاها من الكرمليِّ: «أرجو المعذرةَ عن تأخيري في الجواب لِكارتِكم المُؤرّخةِ في ١٠ شُباط؛ لأنّي حينَ وُصولِها كنتُ خارجًا في دَيْرِ مار أُوراها[٣٦] بجوارِ قريةِ باطنايا الّذي شُيِّدَ حديثًا على أنقاضِه القديمةِ، وقضيتُ هناك بضعةَ أيّامٍ لأخذِ رُسُومِ بعضِ

(٣٥) عَرَضَتْ مجلّةُ (المُقتطف) القاهريّة مُحتوياتِ هذا العددِ المُمتازِ من جريدةِ (العراق)، مُشيرةً إلى نَشْرِ سُليمانَ الصّائغِ قطعةً من تاريخ المَوْصِل فيه، وذلك في فِقْرةٍ بعُنوان «العراق المُمتاز»، مُدرجةٍ في باب (التّقريظ والانتقاد) المنشور بالجُزء الثّالث من المُجلَّد ٦٢، الصّادر في ١ آذار/ مارس ١٩٢٣م: ص٢٩٥- ٢٩٦. ولأهمّيّة هذا العدد، بحيويّة موضوعاته وقيمة الأعلام الّذين كتبوا فيه، ولأنّه مُغيّبٌ عن اطّلاعِ جَمْهَرةِ القُرّاءِ والباحثينَ، مع عشرات الآلافٍ غيره من صحائفِ الجرائدِ القديمةِ الّتي تحتجنُ تاريخَ بلادِنا الثّقافيِّ والفكريِّ والاجتماعيِّ، أُدرِجُ في أدناهُ نصَّ ما أوردتْه (المُقتطف) عن هذا العدد: «أصدرتْ جريدةُ العراق عددًا مُمتازًا اقتداءً بالجرائد العربيّة الأميركيّة، فأحسنتْ في اختيار المواضيع وانتقاء الكُتّاب، فمِن مواضيع هذا العدد: مقالةٌ في تاريخ البصرة ليُوسُف أفندي رزق اللّه، وأُخرى في تاريخ المَوْصِل للقَسِّ سُليمانَ الصّائغِ، ومقالةٌ اجتماعيّةٌ موضوعُها السّلْمُ الدّوليُّ العامُّ لعطاء أفندي أمين، وأُخرى موضوعُها المبادئُ الاشتراكيّةُ والعقلُ السّليم للقَسّ حَنّا رَحْماني، ومقالةٌ علميّةٌ فلسفيّةٌ في النِّسْبيّةِ للأُستاذ عبد المسيح وزير، وفيه قصائدُ كثيرةٌ مُختلفةُ المواضيع، ومنها: دِماغٌ يُفكِّرُ وقلبٌ يخفقُ للأُستاذ جميل صِدْقي الزَّهاويّ، والهُيام بين العراق والشّام للشّيخ محمّد رضا الشَّبِيْبِيّ، وعبْرة الشَّرْق للشّيخ علي الشّرقيّ، وأنا في سَوْرةٍ من الأحلام للحاجّ عبد الحُسين الأُزْرِيّ، والذِّئبُ والحَمَلُ للسَّيِّد مُحمّد الهاشميّ، وتحيّة النّابغة للشّيخ مُحمّد مهدي الجَواهريّ، وبابُ الوَسَطِ من سُوْرِ بغدادَ للشّيخ عبد الرّحمن البَنّا، ويُعيدُ تاريخُ العُلى نفسَه للشّيخ مُحمّد حسن أبي المحاسن، وآلام للأُستاذ مُحمّد حبيب العُبَيْديّ». وختمَ مُحرِّرُ المجلّةِ عرضَه بالقول: «وعسى أن يصدرَ العددُ التّالي من العراق المُمتاز على وَرَقٍ جيِّدٍ وقَطْعٍ صغيرٍ، وأن يزيدَ مَيْلُ شُعرائه إلى الأُسْلُوب العَصْريّ».

(٣٦) دَيْرٌ للكِلْدان يقع على بُعد كيلومتر واحد شمال شرق قرية باطنايا المسيحيّة القديمة (الواقعة على الضّفة الشّرقيّة لنهرِ دجلةَ الّتي تتبع قضاءَ تَلْكِيْف إداريًّا وأغلب سُكّانِها من المسيحيّين الكِلدان)، أسَّسَ الدَّيْر- الّذي يبعد مسافة ١٨ ميلًا (نحو ٢٩ كم) شمال مدينة المَوْصِل- مار أُوراها (أُوراهام) تلميذُ الرَّبّانِ هُرمزد في القرن السّابع للميلاد، وتفرّغ فيه للزُّهْد فتبعه الرُّهْبان. عُمِّر في القرن السّابعَ عشرَ بعد زمنٍ طويلٍ من خرابِ الدَّيْرِ الأصليِّ، لكنّ جيشَ العاهلِ الفارسيِّ نادر شاه، نَهَبَ هذا الدَّيْر وفَتَكَ برُهبانِه في مُنتصفَ القرنِ الثّامنَ عشرَ للميلاد (سنةَ ١٧٤٣م) حينما حاصرَ المَوْصِلَ. ثُمّ بُدِءِ بتجديد الدَّيْر مرّةً أُخرى في أواخر القرن التّاسعَ عشرَ للميلاد، وأُكمِلَ في الرُّبع الأوّل من القرن العشرين- كما يذكر سُليمانُ الصّائغُ في رسالته هذه- ولكنّه ظلَّ خاليًا من الرُّهبان. وقد اجتاح مُسُوخُ ما يُعرف بتنظيم داعش الإرهابيِّ قريّةَ باطنايا ليلةَ السّادسِ على السّابعِ من شهر آب/ أغسطس ٢٠١٤م، فدمّروا مُعظمَ معالِمها وبُيُوتِ أهلِها الّذين نزحوا إلى مُحافظةِ أربيلَ عشيّةَ اجتياحها، وقد عادتْ نسبةٌ منهم بعد تحريرها سنة ٢٠١٧م، وأخذتِ القريةُ تستعيد بعضَ طُقُوسِ حياتِها السّابقة. يُنظر: «أُصُولُ أسماءِ مُدُنٍ وقُرى عراقيّة»، گورگيس عوّاد ويعقوب سركيس: ص٢٨- ٢٩. ومن المُؤسف أنّ في عُنوان الكتاب غلطًا نحويًّا، إذ ورد: «أُصُولُ أسماءُ». و «موسوعة المُدُن والمواقع في العراق»، تأليف: بشير يوسف فرنسيس، إعداد: جِنان بشير يوسف وزياد أيمن بشير: ١/ ٤٤٥- ٤٤٦.

آثـاره ». والرُّسُـومُ هنا تعنـي الصُّـوَرَ المُلتقَطةَ بالتّصوير الضّوئـيّ (الفوتوغرافيّ)، أو التّصوير الشّمسـيّ على حـدّ تعبير الصّائـغ، ورُبّما يكونُ القائمُ بتصويرِ الدَّيْرِ شقيقَه الشَّمّاسَ نعّوم داود الصّائـغ المُتوفّـى سـنة ١٩٤٨م- والدَ الشّـاعرِ يُوسُـفَ الصّائغ- الّـذي يُعدُّ مـن رُوّاد التّصوير الضَّوْئيِّ في العراق[٣٧].

وفي الرّسـالةِ السّابعةِ المُؤرَّخةِ في ٣١ أيّار/ مايو ١٩٣٠م، يكشـفُ عن تولّيـهِ تنظيمَ المكتبةِ البطريركيّةِ فـي المَوْصِلِ سـنةَ ١٩٢٩م، بقوله: «لقد بحثتُ وفتّشـتُ في مكتبةِ الآباءِ فلم أجدْ من الجدولِ المذكورِ، والظّاهـرُ أنّ الطّبعةَ نافذةٌ[٣٨]. وقد سـبقتُ فـي العامِ الماضي ففتّشـتُ عنه هُنا وهُنـاك فلم أهتدِ إليه، وذلـك حينما نظَّمْتُ مكتبةَ القِلّاية البطريركيّةِ[٣٩]».

ويذكـرُ- عَرَضًـا- فـي الرّسـالةِ الخامسـةِ، المُؤرّخـةِ فـي ٢٤ تَمُّـوْز/ يوليـو ١٩٢٩م، مـا يكشـفُ أنّ الحُكومةَ العراقيّةَ كانت تعده من بين أبـرز النُّخبِ وكبار الأعيانِ في مدينتِه، حين دعته إلـى حَفْلِ اسـتقبالِ أهمِّ شـخصيّةٍ بريطانيّةٍ في العـراق: «البارحةُ مسـاءً كُنّا مدعوّيـنَ في حفلة الشّاي المُقامةِ لشـرفِ فخامةِ المندوب السّامي، وصادفَ جُلُوسُنا قريبًا من مُدير الأوقاف، فكلّمتُه فـي الموضـوع، وشـاركني فـي الطَّلَبِ سـيادةُ المُطران يُوسُـف غَنِيْمَـة، فوعدني خيـرًا لَمّا يتمُّ تسليمُ الدُّوْرِ ورفعُ الحَجْزِ».

وتُشيرُ الرّسالةُ الأُولى، المُؤرّخة في ٢١ أيْلُوْل/ سـبتمبر ١٩٢٢م، إلـى أنّ ثمّـةَ معرفـةً سـابقةً بالكرمليّ قبلَ بـدءِ المُراسـلةِ، لأنّ الصّائغَ يقولُ «..إذ كنتـم وعدتموني بقَبول مُراجعتي إذا حصلَ لي صُعوبةٌ ما، فأرجو أن تُجيبوني على سُؤالي..». وتشـي هذه العبارة بـأنّ الكرملـيَّ كان المُحفِّزَ والمُشجِّعَ والمُؤازِرَ للصّائغ في مشروع كتابه عن تاريخ الموصل، ذلك أنّ الإشارة إلى وعد الكرمليّ بمُسـاعدته كُلّمـا واجهته صعوبةٌ مـا، جاءت في سـياق طلبِ الصّائغِ منه معلوماتٍ تخصّ تاريخ المَوْصِلِ القديمِ- كما سبقتِ الإشارةُ- وهو مُنهمكٌ في مراحـل إنجازه الأخيرة. وليس لدينا من دليلٍ

---

(٣٧) قال عنه د. بُطْرُس حدّاد في مُقدّمة فِهْرِسـه الموسومِ بـ «فِهْرِسـت مخطوطات المُطران سُليمان الصّائغ وأخيه مـوسى الصّائـغ»، المنشـورِ في مجلّة (المـورد)، ١٩٨٣م: ص١٣٥: «وكان لهمـا أخٌ، هـو نعـوم الصّائـغ (تُـوفّيَ في المَوْصِلِ سـنةَ ١٩٤٨) وهو رائدُ التّصويرِ الفوتغرافيّ في أُمّ الرَّبيعَـيْنِ، وقد تركَ مجموعةً نادرةً من الصُّوَرِ الشّمسـيّةِ لرجالاتِ المَوصِلِ وأُسرِها في مطلعِ هذا القرنِ [يعني القرنَ العشريـنَ]، تُعتبرُ اليومَ أرشـيفًا تاريخيًّا ثمينًا للفولكلور المَوْصِـليِّ، وكان إلى جانبِ ذلكَ من هُواةِ استنسـاخِ الكُتُبِ، فـتركَ عـددًا لا بـأس بـه مـن المخطوطـات، وكان يهتمُّ باستنسـاخِ المُؤلَّفـاتِ المَوْصِليّـةِ خاصّةً ». وتُنْظَرُ بشـأن ريادته أيضًا مقالةُ الباحثِ رِفْعة عبد الرّزّاق: «شـمّاسٌ في كنيسـة ورائدٌ فوتغرافيّ»، جريدة (المدى) البغداديّة، العدد الصّادر يوم ٢٣/ ٥/ ٢٠١٦م.

(٣٨) الصّواب: «نافدة ».

(٣٩) القِلّايـةُ: الصَّوْمعـةُ ينفـرد فيهـا الرّاهـب. يُنظَر: «الدِّيـارات»، الشّابشـتيّ (بتحقيـق گورگيـس عَـوّاد): ص٢٠٠ (الهامـش١). وفي «المُنجِـد في اللُّغـة والأعـلام»، لويـس معلـوف: ص٦٥٢ أنّ القِلّيّـة: حُجْرة النّاسِـك أو الرّاهب، والقِلّاية: مسـكن الأُسْقُف. وهما يونانيّتان. وعلى ذلك فإنّ القِلّايّة البطريركيّة هي المقرّ البطريركيّ.

على هذا في المصادر والمراجع الأُخرى سوى ما كتبه الصّائغ بخطّ يده هُنا.

يُخاطِبُ الصّائغُ الكرمليَّ بصفاتِ التّبجيلِ المُعتادةِ في ذلك الزّمان، وأكثرُ ما يتردَّدُ في مُخاطباتِه له وصْفُه بـ «العلّامة المِفْضال» وقد يُلْحِقُ بها عبارةَ «الأب أنستاس ماري الكرمليّ الجزيل الاحترام»، كما تَرِدُ صِيَغٌ أُخرى مثلُ «سيِّدي الأب الأُستاذ»، أو «حضرة الأب العلّامة»، أو «سيّدي الأب الفاضل»، وجاءت آخرُ رسالةٍ بصيغةٍ تدلُّ على مزيدِ تقديرِ الصّائغِ له «حضرة العلّامة الجِهْبِذ الأب أنستاس ماري الكرملي الجزيل الاحترام».

وختم ثلاثًا من رسائلِه بقولِه: «ولدُكم سُليمان صائغ»، وذيَّلَ ثلاثًا أُخرى بـ «المُخلص سُليمان صائغ»، واثنتينِ بالمنصبِ الدّينيِّ «القَسّ سُليمان صائغ»، وواحدةً بكلمةِ «الدّاعي سُليمان صائغ». وكما هو ملاحظ فإنّ كُلّ الإشارات لِلَقَبِه العائليّ كتبها مُجرَّدَةً من الألِفِ واللّام.

ولا تخلو هذه الرّسائلُ من دراما مُتشابكةٍ في ثناياها، وأعني بذلك موضوعةَ الحُصُولِ على تصويرٍ شمسيٍّ لديوانِ الجَعْديِّ التمسَه الكرمليُّ من الصّائغِ، ومن المُفترَضِ وجوده في مدرسة الحَجّيّات بالمَوْصِلِ، إذ حصلتْ مُفارقاتٌ غريبةٌ جعلتْ حسمَه يتأخَّرُ مُدّةً طويلةً بلغتْ نحوَ عامٍ، وعالجتْها أربعٌ من رسائل الصّائغ (من الثّالثة إلى السّابعة: ابتداءً من يوم ٣ حَزيْران/ يونيو ١٩٢٩م وحتّى يوم ٣١ أيّار/مايو ١٩٣٠م)، فالمفارقةُ الأُولى أنّ القائمَ على المكتبةِ عبد الباقي جنجون كانَ قد انطلقَ توًّا إلى الحجِّ ويتمنّعُ ابنُه عن مُساعدة الصّائغ، وبانتظارِ عودتِه إلى المَوْصِلِ تصلُ الأخبارُ بوفاتِه في الباخرةِ الّتي كانت تُقلُّه، واضطرارِ مَلّاحيها إلى رميِ جُثّتِه في البحر، ولا تنتهي المُفارقاتُ المُحزنةُ عند هذا الحدثِ الأليمِ، إذ يحصلُ نزاعٌ على تولّي الوَقْفِيّةِ بعد وفاةِ القائمِ بها، ويتمُّ الحجزُ على مدرسةِ الحَجِّيّاتِ ريثما يُحَلّ النّزاع. وأخيرًا، وبعد الحُصولِ على صُورةِ المخطوطِ، يتبيّنُ بعد الفحصِ أنّه مجموعٌ خطّيٌّ لا يمتُّ بِصلةٍ إلى ديوانِ الجَعْدِيِّ، وإنّما يضمُّ مجموعةَ قصائدَ بديعيّةٍ وأناشيدَ عن شهرِ رمضانَ(٤٠).

مواضِعُ وأعلامٌ

على قلّةِ عددِ رسائلِ الصّائغِ، تناثرتْ في تضاعيفِها أسماءُ مواضعَ جُغرافيّةٍ وأسماءُ شخصيّاتٍ عديدةٍ من الشّرقِ والغربِ ومن عُصورٍ مُختلفةٍ: فكما يَرِدُ ذِكْرُ مُدُنٍ تاريخيّة مثلِ نِيْنَوَى والمَوْصِل ومارِدِيُنَ ونَصِيْبِيْنَ، وأُخرى محلّيّةٍ كبلْدةِ تَلْكِيْف وقريةِ باطِنْيا القريبةِ منها والواقعةِ شمالَ المَوْصِلِ، يُشار أيضًا إلى مُؤسّساتٍ دينيّة وعلميّةٍ وأماكنَ معروفةٍ مثلَ دَيْرِ مار أُوراها، وكُلِّيَّة اليسوعيِّين في بيروتَ، فضلًا عن معالمَ ومواضعَ

(٤٠) كان من المُفاجئ لي أن أكتشف وجودَ مخطوطةِ «شرح ديوان الجَعْدِيِّ» في ضمنِ ما بقيَ محفوظًا من مخطوطاتِ الأبِ سُليمانَ الصّائغِ في بيت سليلِ العائلةِ ببغدادَ نجيب الصّائغ المُحامي، وهي مخطوطةٌ غيرُ مُؤرّخةٍ ناقصةُ الأوّلِ والآخِرِ تقعُ في ٢٢٤ ورقة. يُنظَرُ: «فِهْرِستُ مخطوطاتِ المُطران سُليمانَ الصّائغِ وأخيه مُوسى الصّائغ»، د. بُطْرُس حدّاد، مجلّة (المورد) البغداديّة، ١٩٨٣م: ص١٤١.

وشواخصَ معروفةٍ في المَوْصِلِ كشارع شَمْعون الصّفا، وبَطْرَكْخانة الكِلْدان، ومدرسةِ الحَجِّيّاتِ ومكتبتِها الخطّيّةِ، ودَيْر الآباء الدّومنيكيِّين، ومكتبةِ القِلَّاية البطريركيّة.

غير أنّ الأمرَ لم يكن يخلو من مُعَمَّياتٍ، فثمّةَ في رسالةِ الصّائغِ الثّانيةِ، المُؤرَّخةِ في ١٩ شُباط/ فبراير ١٩٢٣م، اسمُ دَيْرٍ مأهولٍ يُفترَضُ أنّه يضمُّ مطبعةً نُشِر فيها كتابٌ سُرْيانيٌّ مجهولُ المُؤلِّفِ، نَشَره بطريركُ السُّريان بلُغتِه الأصلِ مع ترجمةِ خُلاصتِه إلى اللُّغةِ اللّاتينيّة، وكان الكرمليُّ طلبَ من الصّائغِ نُسْخةً من هذا الكتاب، فأجابه الصّائغُ بأنّه لم يقف عليه وما يعرفه عنه مُستقًى من المُنْسنيُور[٤١] يُوسُف خيّاط، وأرشده إلى اسم الدَّيْر الّذي صدرَ عن مطبعتِه، ليطلبه منه، ولكنّه كتبَ اسمَه بصيغتينِ مُختلفتينِ وعلى نحوٍ مغلوطٍ فيه كما تبيّن لي في النّهاية، الأُولى كانت «الدَّيْر الشّرقيّ» وقد وَضَعَ نُقطتي القاف، ثُمّ بَدا وكأنّه أرادَ حذْفَهما لوضْعِ نُقطةٍ واحدةٍ مكانَهما، وجاءت الثّانيةُ بصيغةِ «دَيْر الشّرفيّ»، ما جعلني أدخلُ في دوامةٍ من التَّحَرِّي في المراجعِ البُلدانيّةِ المُوازيةِ، بحثًا عن اسمِ دَيْرٍ بهذا الاسم في البلاد الشّاميّة قبل نحوِ قرنٍ من الزّمان، حتّى قادني البحثُ مع الحَدْسِ والتّخمين إلى الوقوفِ على حقيقة اسمِ هذا الدَّيْر، ثُمّ اسمِ الكتابِ المجهول.

وفي أوّلِ الأمر كان أمامي الآتي: دَيْرٌ غيرُ مُحدَّدِ الاسمِ على نحوٍ واضحٍ، صدرَ في مطبعته كتابٌ ذَكَره الصّائغُ في رسالته من دُونِ أن يراه، وهو مجهولُ المُؤلِّفِ، وتاريخُ نَشْره غيرُ معروفٍ، ومطبوعٌ بلُغتِه السُّريانيّةِ، وتُرجِمتْ خُلاصتُه إلى اللُّغة اللّاتينيّة، مع تصديرٍ بقلمِ بطريركٍ غيرِ مذكورِ الاسم، ولا يُعرَفُ بأيِّ لُغةٍ كُتِبَ هذا التَّصديرُ. ووسْطَ هذه المُعمَّياتِ عليَّ أن اهتديَ إلى اسمِ الدَّيرِ وأُعرِّفَ به في هامشٍ، وإلى عُنوانَ الكتابِ وبياناتِ نَشْره، وأنا ممّن لا يُفضِّلون استخدامَ عبارةِ «لم أَعثرْ عليه » إلّا بعد قُنُوطٍ تامٍّ يسبقه جُهْدٌ بحثيٌّ مُضْنٍ.

وكان أوّلُ ما اهتديتُ إليه، اسمَ ناشرِ الكتابِ، وهو أغناطيوس أفرام الثّاني رَحْماني بطريرك السُّرْيان الكاثوليك، لكنّني لم أقفْ- أوّلَ الأمرِ- على إشارةٍ عن هذا الكتابِ في قائمةِ أعمالِه.

وعند البحث عن اسم الدَّيْرِ باحتمالاتِه المُختلفةِ، في «المُعْجَم الجُغرافيّ للقُطْرِ العربيِّ السُّوريّ »، لمُجموعة من المُؤلّفين: ٣/ ٤٠٥- ٤٠٦، ظهرَ أنّ هناك دَيْرًا تاريخيًّا باسم (دَيْر الشَّرقيّ) أو (الدَّير الشَّرقيّ) في جبلِ الزّاويّةِ، ضمن مِنْطَقةِ مَعَرَّةِ النُّعْمان بمُحافظة إدْلِب شمال غربيِّ سُوريا، وفي الدَّيْرِ ضريحٌ يُعتقَدُ أنّه للخليفةِ الأُمَويِّ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيز. وهذا الموقعُ هو واحدٌ من أربعةِ مواقعَ مشهورةٍ بأدْيِرَتِها، تُنسَبُ إلى القِدِّيس سِمْعان. على أنّ كلامَ الصّائغِ في رسالتِه كان عن دَيْرٍ قائمٍ مأهولٌ وفيه مطبعةٌ، وليس في ما بين يديَّ من مراجعَ ما يُشير إلى ذلك، فحينَ راجعتُ الجُزءَ السّادسَ من كتابِ مُحمّد كُرْد علي الموسوعيِّ «خِطَط الشّام « الّذي يتناولُ في مُستهلِّه البِيَعَ والكنائسَ والأَدْيرةَ، في طبعتِه

(٤١) ورد لهذه اللّفظةِ شَرْحانِ مُتقاربانِ في قاموس «المورد، قاموس إنكليزيّ- عربيّ»، مُنير البعلبكيّ: ص٥٩٠، وذلك بحسبِ أصلِها، فمعناها إذا كانت من أصلٍ فرنسيٍّ: «لقبُ تشريفٍ فرنسيٌّ يُطْلَقُ على الأُمَراءِ والأَساقفةِ وغيرِهم من ذوي المكانة الاجتماعيّة»، ومعناها إنْ كانت من أصلٍ إيطاليٍّ: «لقبٌ يُطْلَقُ على بعضِ الأَساقفة». ولعلَّ صِلَةَ القَسِّ والأَساقفةِ بإيطاليا، حيثُ مقرُّ الفاتيكان، يُرجِّحُ المعنى الثّاني. وسترِدُ ترجمةُ يُوسُف خيّاط في هامشٍ على الرّسالة الثّانية.

الأُولى الصّادرةِ بدمشقَ سنةَ ١٩٢٨م (وهو تاريخٌ مُطابِقٌ لتاريخِ رسالةِ الصّائغِ هذه)، وجدتُه أشار (٦/ ٣٠- ٣١) إلى دَيْر سِمْعان في معرّة النُّعمان الّذي فيه ضريحُ عُمَرَ بنِ عبد العزيز، على أنّه دَيْرٌ دارِسٌ، ولم يرِدْ فيه ذِكْرٌ لاسمِ دَيْرِ الشّرقيِّ أو دَيْرِ الشّرفيِّ لا ماضيًا ولا حاضِرًا. ثُمّ عُدتُ إلى كتاب «جَوْلة أثريّة في بعض البلاد الشّاميّة» لأحمد وصفي زكريا، وهو كتابٌ رَحْلِيٌّ صدرَ بدمشقَ سنةَ ١٩٣٤م، فوجدتُه وصفَ (ص١٨٦- ١٨٧) الدَّيْر الشَّرقيَّ بأنّه أثريٌّ مهجورٌ.

وبعد توسيعِ دائرةِ البحثِ عن حياةِ البطريرك رَحْماني في مراجعَ عديدةٍ، وقعَ نظري مُصادفةً على اسمِ (دَيْر الشَّرْفة) في جبلِ لُبنان، نُشِرَ فيه كتابٌ، فحدستُ أنّه هو المقصودُ في كلامِ الصّائغ، وعُقْبَ التّحرّي الطّويلِ تبيّن لي صدقَ حَدْسي، وظهرَ أنّ الكتابَ المقصودَ هو «تاريخ الرّهاويّ المجهول »، الّذي نَشَرَ البطريركُ رَحْماني القسمَ الأوّلَ منه في دَيْر الشَّرْفة سنة ١٩٠٤م، ونَشَرَ قسمَه الثّانيَ بعد سبعِ سنينَ، ثُمّ نقلَه الأبُ أَلْبير أبونا إلى العربيّةِ بعد عُقُودٍ طويلةٍ. ويبدو أنّ الصّائغَ سَمِعَ اسمَ هذا الدَّيْر من فمِ المُنْسنيُور يُوسُف خيّاط بالإمالةِ، مُتّبِعًا عادةَ أهلِ سُوريا ولُبنان في نُطْقِ الألفاظ المُنتهيةِ بالتّاء المُدوّرة، فكتبَ اسمَه بصيغةِ «الشَّرْفي»، وتسبَّبَ بكُلِّ هذا العَناء.

وقريبٌ من هذا حصلَ في رسالةِ الصّائغِ السّابعةِ- المُؤرَّخةِ في ٣١ أيّار/مايو ١٩٣٠م- الّتي يعتذرُ فيها للكرمليِّ عن تَعَذُّرِ حُصُولِه على نُسختينِ من كتابٍ مطبوعٍ نادرٍ طلبَهما منه، وهو يُسمِّيه «جدولَ مكتبةِ سِعِرْت للمخطوطات، المطبوعِ عند الآباءِ الدّومنيكيّين »، ولم أقفْ على عُنوانٍ كهذا في ما رجعتُ إليه من مصادرَ ذاتِ صلةٍ. ولأنَّ الصّائغَ لم يذكرِ اسمَ المُؤلِّفِ ولا تاريخَ النَّشْرِ، تتبّعتُ توقُّعي بأنَّ الكتابَ رُبّما يكون من وَضْعِ المُطْران أَدَّي شِير رئيسِ أساقفة الكِلْدان في بَلْدةِ سِعِرْت (تقعُ في جنوب شرقيّ تُركيا حاليًّا)، لصِلتِه بهذه البَلْدةِ، ولأنّه من أهمِّ مَن كانوا يُعْنونَ بفَهْرسةِ المخطوطاتِ في نهاياتِ القرنِ التّاسعَ عشرَ ومطلعِ القرنِ العشرينَ. غير أَنّي لم أجدْ في مراجِعِ ترجمتِه المُتاحةِ كتابًا أفرده لفَهْرسةِ مخطوطاتِ هذه البَلْدةِ وحدَها، وبعد رحلةِ تقصٍ في المراجِعِ الّتي تُعنى بمطبوعاتِ الآباء الدّومنيكان بالمَوْصِل، اهتديتُ أخيرًا إلى عُنوانِ الكتابِ الصّادرِ في المَوْصِلِ بالفرنسيّةِ سنة ١٩٠٥م، وكان من وَضْعِ أَدَّي شِير كما توقّعتُ، وكما سيردُ في هامشٍ على هذا الموضعِ من تلك الرّسالة.

أمّا عن الأعلامِ، فقد وردتْ في الرّسائلِ أسماءُ شخصيّاتٍ تاريخيّةٍ كتراجان[٤٢] (طرايانوس)[٤٣] الإمبراطور الرُّومانيّ الثّالثَ عشرَ (المُتوفَّى سنةَ

(٤٢) تُنظَر ترجمته في «مُعْجَم أعلام المورد »، مُنير البعلبكي، إعداد: د. رمزي البعلبكي: ص١٣٨.

(٤٣) يتَّبعُ سُليمانُ الصّائغُ أُسلوبَ المُؤرِّخين العرب القُدامى في كتابة أسماء مُلوك الأُمم القديمة، فقد قال المسعوديُّ (المُتوفّى سنة ٣٤٦ للهجرة) عن هذا القيصر: «الخامسَ عشرَ: طَرايانوس قيصر، مَلَكَ تسعَ عشرةَ سنةً، وفي السّنة السّادسة من مُلْكِه كانت وفاةُ يُوحنّا التّلميذِ بمدينةِ أفسيس بعد أن كَتَبَ الإنجيلَ في جزيرةٍ من جزائر البحر..». يُنظَر كتابُه: «التّنبيه والإشراف » (طبعة دار الصّاوي): ص١١١. وكذلك سمّاه ابنُ الأثير (المُتوفّى سنة ٦٣٠ للهجرة) عند ذِكْر مُلوك الرُّوْم الّذين قسّمهم على ثلاثِ طبقاتٍ في كتابه «الكامِل في التّاريخ» (المطبوعِ بمطبعة بريل): ١/ ٢٣٢.

١١٧م) الّذي غزا العراقَ، وابنِ خلدونَ[٤٤]صاحبِ تاريخِ «العِبَر » ومُقدّمته الشّـهيرةِ (المُتوفَّى سنةَ ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، والأديبِ الطّبيـب البصريّ أبي العبّاس يَحْيى بن سعيدِ بن ماري[٤٥] صاحبِ المقامات (المُتوفَّى سنةَ ٥٨٦هـ/ ١١٩٣م).

هذا بالتّرافُقِ مع شـخصيّاتٍ مُعاصرةٍ معروفةٍ كبطريرك السُّـرْيان الكاثوليـك أغناطيوس أفرام الثّاني رَحْماني (١٨٤٩- ١٩٢٩م) العالِم باللُّغات الشّـرقيّة والأوربيّة، والمذكور بصفته لا باسـمه، والمُطران يُوسُـف غَنِيْمـة[٤٦](١٨٨١- ١٩٥٨م) البطريـرك فيمـا بعد للكِلْـدان الكاثوليك باسـم: مار يُوسُـف السّـابع غَنِيْمـة، الّذي نقلَ كُرسـيَّ البطريركيّـةِ إلى بغدادَ. والمُـؤرّخِ المعروفِ عبد الـرَّزّاق الحَسَـنيِّ[٤٧] (١٩٠٣- ١٩٩٧م) مُؤلِّفِ كتاب «تاريـخ الوزارات العراقيّة» الّذي أسـهمتْ كُتُبُـهُ في التّعريفِ بالدِّيْنَيْـنِ الإيزيديّ والصّابئيّ المَندائـيِّ وإن طالَ الخلافُ في قيمتِها المعرفيّةِ، والمُستشـرِقِ الإيطاليِّ جوزيـه فُرْلاني (١٨٨٥- ١٩٦٣م) الّذي حَمَلَ رسالةَ الكرمليِّ من بغدادَ إلى الصّائغ في المَوْصِلِ (كما ذكرَ الصّائغُ في رسالته السّـابعةِ المُؤرَّخـةِ فـي ٣١ أيّار/مايـو ١٩٣٠، شـاكرًا للكرملـيّ تعريفه إلى هذا المُستشـرِق)، والآثاريِّ الفرنسيِّ الشّهيرِ المُتخصِّص بالحضارةِ الفِرْعونيّةِ وحضارات الشَّـرْق غاستون ماسبيرو (١٨٤٦- ١٩١٦م)، والمندوبِ السّامي البريطانيِّ في العراق جلبرت كلايتون الّذي تُوفِّيَ بالسّـكتةِ القلبيّةِ في بغدادَ مسـاءَ يـومِ الأربعاء ١١ أيْلُوْل/ سـبتمبر ١٩٢٩م[٤٨]، أي بعـد أقلّ من شـهرين علـى زيارتِـه للمَوْصِـلِ، وهـي مُناسـبةُ ذِكْره- بصفتِه لا باسـمِه- في رسـالةِ الصّائغِ الخامسةِ المُؤرَّخـةِ فـي ٢٤ تَمُّوْز/ يوليـو ١٩٢٩م. وآخِرُ الأعـلامِ المذكوريـنَ في تضاعيفِ هذه الرّسـائلِ هو الطّبيبُ المَوْصِلـيُّ، والعالِمُ اللُّغويُّ، والمُؤرِّخُ والمجمعيُّ المعـروفُ داود الچَلَبِي[٤٩] (١٨٧٩- ١٩٦٠م) الّـذي كان مُقيمًـا بالعاصمـةِ بغـدادَ، مطلـعَ ثلاثينيّاتِ القرنِ الماضي، شـاغِلًا منصبَ مُديرِ الصّحّـةِ العامِّ، وطلبَ الصّائغُ في رسـالتِه الأخيرةِ، المُؤرَّخةِ في ٢٨ كانُوْنَ الأوّلِ/ ديسـمبر ١٩٣١م، توسُّـطَ الأبِ الكرمليِّ لديه لإنصافِ أحدِ الأطبّاءِ من أُسرةِ غزالةَ المعروفةِ في المَوْصِل، لِما تجمعُ بينهما من صلاتٍ وثيقةٍ.

ولقـد رأيتُ أنّ هذا التّعريفَ المُجْمَلَ، بين يدي الرّسائل، بهؤلاء الأعلام المشهورينَ كافٍ، وما من ضرورةٍ لحَشْوِ الهوامشِ بترجماتِهم ومصادرِها، فالتّعريـفُ يكـون لازمًا وضرورةً لِمَـن لا ترجمةَ لهم في المصادر والمراجع المُتاحة لِعُمُوم القُرّاء. وهـذا مـا واجهتُه عنـد ذِكْرِ اسـم القَـسِّ ماروثا

(٤٤) تُنظَر ترجمته في «الأعلام »: ٣/ ٣٣٠.

(٤٥) تُنظَر ترجمتُه في «الأعلام »: ٨/ ١٤٧.

(٤٦) تُنظَر ترجمتُه في: «موسـوعة أعلام وعُلماء العراق»: ص٨٧٨. وهـو ابنُ عمِّ الوزيرِ والمُؤرّخِ الّذي يحملُ الاسـمَ نفسَه.

(٤٧) تُنظَـر ترجمتُه في: «أعلام الأدب في العراق الحديث»: ٢/ ٥١٨- ٥٢٠، و «موسـوعة أعـلام وعُلمـاء العـراق»: ص٤٨٤.

(٤٨) يُنظَر: «العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ إلى ١٩٥٠، تاريخ سـياسيّ اجتماعيّ واقتصاديّ»، سـتيفن همسـلي لونكريـك، ترجمة وتعليق: سـليم طـه التّكريتي (الفجر للنّـشر والتّوزيع، مطبعـة حُسـام): ١/ ٣٠٠. و «جعفر أبـو التِّمَّن ودَوْره في الحركـة الوطنيّة في العراق، ١٩٠٨- ١٩٤٥»، عبد الرّزّاق عبد الدّرّاجي: ص٢٦٣.

(٤٩) تُنظَر ترجمته في «الأعلام »: ٢/ ٣٣٥.

الحكيم، والمُنْسنيُور يُوسُف خيّاط، حتّى اهتديتُ إلى ترجمةٍ نادرةٍ كتبها أنستاسُ الكرمليُّ- باسمٍ مُستعارٍ- للأوّل، بعد رحيلِه بعامٍ، في مجلّة (المُقتطَف) القاهريّة سنة ١٩٢٢م، وأُخرى غيرِ مُتوقّعةٍ للثّاني بقلم مِيْر بَصْرِي في كتابه «أعلام السّياسة في العراق الحديث »، بوصْفِه كان نائبًا عن المَوْصِل في البرلمان العراقيّ في أوائل تأسيس الدّولة العراقيّة، بعد أن كُنتُ جمعتُ بعضَ المعلوماتِ المُهمّةِ عنه من عدّة كُتُبٍ أشارتْ إلى محطّاتٍ في حياتِه. وستردُ سيرتاهُما في هوامشِ الرّسائلِ مع أمثالِهما.

ولقد لاقيتُ الأمرّين- كما يُقال- وأنا أبحثُ عن معالمِ سيرةٍ لشخصيّاتٍ أُخرى، مثلِ داود أفندي الوَضْحَة المُدرِّس في مدرسةِ الحَجِّيّاتِ بالمَوْصِل، والمُتصوّف المَوْصِلي الشّيخ إبراهيم الرُّوْميّ، وتمكّنتُ بعد مجهودٍ وبحثٍ مُطوَّلٍ من جمعِ بياناتٍ أساسيّةٍ عنهما، تُشكِّلُ ملامحَ ترجمةٍ أوّليّةٍ، وأدرجتُهما في هوامشِ الرّسائل. كما لم تُسْعِفْني المراجِعُ المُتاحةُ- من أسفٍ- لأقفَ على اسمِ مَن كان يشغلُ منصبَ مُديرِ دائرةِ الأوقافِ في المَوْصِلِ سنة ١٩٢٩م على وجه التّعيين، وإن كُنتُ أظنُّ أنّه أسعد أفندي العُمَري(٥٠).

وفضلًا عمّا تقدّم، ثمّة شخصيّتان أُخريان لم أهتدِ إلى ترجمتِهما في ما بين يديَّ من مراجِع، وهما عبدُ الباقي چَلَبِي جنجون القائمُ على مدرسة الحَجِّيّات بالمَوْصِل، والطّبيبُ المَوْصِليُّ الرّائدُ بشير أفندي غَزالة، كما لم يُسْعِفْني مَن سألتُهم من فُضلاءِ المَوْصِلِ بما يشفي الغليل. وبسببٍ من تراجُعِ التّدوين التّاريخيّ والتّرْجميّ في البلاد يُمكنُ وصفُهما اليومَ بالمغمورَيْن.

وبمُناسبةِ ذِكْر هذين المَوْصِليَّيْن الفاضلين اللّذين لم تُنصفهما المادّةُ التّرجميّةُ الشّحيحةُ المُتاحةُ في المراجع، أودُّ أن أُشيرَ إلى حقيقةٍ طالَ ما واجهتني وأنا أتعاملُ مُنذ نحوِ ثلاثةِ عُقُودٍ مع أدب الرّسائل، إذ اتّضحَ لي جليًّا أنّ هنالك تقصيرًا كبيرًا في مجال التّعريف بنُخبةٍ كبيرةٍ من الشّخصيّات العامّة الّتي ظهرت على مسرح التّاريخ العراقيّ القريب، والّتي كثيرًا ما تتردَّدُ أسماؤها في الرّسائل المُتبادلة بين أعلام العَصْر. وبرُغم المُحاولاتِ المُتعدِّدةِ وذاتِ الطّابع الفرديّ- غالبًا- لإصدارِ كُتُبِ تراجِمٍ مُوسَّعةٍ أو مُختصرةٍ بادرَ لِوَضْعِها طائفةٌ من المُهتمّينَ، لكن لا يزالُ يعتورُها كثيرٌ من النّقص. ولقد واجهتُ ذلك مرّةً أُخرى وأنا أتعاملُ مع التّسعِ الرّسائلِ هذه الّتي وردتْ فيها إشاراتٌ إلى شخصيّاتٍ كان لها أدوارٌ في تاريخ المَوْصِل، ورُبّما العراق، لكنّني لم أجدْ لها ترجمةً في ما رجعتُ إليه من كُتُبٍ، ومنهم الطّبيب بشير غزالة الّذي يُعدُّ من بين أقدم الأطبّاء المُمارِسين في العراق، مِمَّن تخرَّجوا في أهمِّ

(٥٠) كان أسعد أفندي حسن العُمَري يشغَلُ هذا المنصبَ في نهايةِ سنةِ ١٩٢٥م، بحسْبِ ما ورد في المُلْحَقِ الوثائقيِّ المنشورِ في الجُزءِ الثّاني من «فِهْرِس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامّة في المَوْصِل»: ٢/ ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣٢، ٣٣٩، ولكن لم تُسْعِفْني المراجِعُ المُتاحةُ لتحديدِ مُدّةِ شَغْلِهِ المنصبَ للتّأكُّدِ ممّا إذا كان هو نفسُه مَن كانَ يُديرُ أوقافَ المَوْصِلِ سنةَ ١٩٢٩م أم غيره. وهو شقيقُ أرشد العُمَري (١٨٨٨- ١٩٧٨م) الّذي أصبحَ فيما بعدُ رئيسًا للوزراء مرّتين في العهد الملكيّ. وقد وردَ في «الدّليل العراقيّ الرّسميّ لسنة ١٩٣٦»: ص١٥٥، أنّ مُدير شُعبة أوقاف المَوْصِل في سنة ١٩٣٦ كان السَّيِّد أحمد القاضي، ولم يُذكَر متى شغلَ هذا المنصب.

الجامعاتِ مطلــعَ القرن الماضي، والّذي خصَّصَ سُــليمانُ الصّائغُ رسالتَه التّاســعةَ والأخيرةَ كُلَّها لبيانِ ظُرُوفِه، وطَلَبَ توسُّــطَ الكرمليّ للسّعيِ في تعيينــه طبيبًا عند صديقِه الدّكتــور داود الچَلَبِي مُديــر الصِّحّــة العــامّ. وحيــنُ كُنتُ أُعِــدُّ ورقتي البحثيّةَ عن هذه الرّســائلِ للمُشاركة في مِهرجان الثّقافة السُّريانيّة ســنةَ ٢٠١٢م، عُدتُ إلى كتاب الباحث بَهْنام ســليم حَبّابة عن الأُسَــر المسيحيّة فــي المَوْصِــل، فوجدتُه يُوجِزُ الحديــثَ عن عائلةِ غزالــةَ المَوْصِليّةِ الشّــهيرةِ بنصــفِ صفحةٍ[٥١]، وقال إنّهــا من الأُسَــرِ الوجيهةِ لــدى الكِلْدان في محلّة السّــاعة بمدينة المَوْصِل، واستعرضَ عددًا من شــخصيّاتها البــارزة الّتي عُرِفَــتْ مُنذ مطلع القرن الماضي بتخصُّصاتِها الطِّبّيّةِ، وليس بينها الشّخصيّة المبحوث عنها[٥٢].

وكان مــن المُفارقاتِ الغريبــةِ أنّ كتابَ حَبّابةَ خلا من الإشــارة تمامًا لأُسرة الصّائغ، فليس فيه اســمُ المُؤرّخِ سُــليمانَ الصّائغِ الّــذي احتفت به مُديريّةُ الثّقافة السُّريانيّة ســنة ٢٠١٢م، مُطْلِقةً اســمَه على الدّورة الثّالثة مــن حلقات مهرجانِها «دَوْر السُّريان في الثّقافة العراقيّة»[٥٣].

وحيــنُ لجأتُ إلى «موســوعة أعــلام المَوْصِل» للباحــث المَوْصلــيّ الدّكتور عُمــر الطّالب (وهي مُتاحــة على الشّــابكة العالميّة)، لــم أجد ترجمةً

(٥١) يُنظَــر: «الأُسَر المســيحيّة في المَوْصِل»، بَهْنام ســليم حَبّابة: ص٢٠٥.

(٥٢) وردتْ في الكتابِ إشارةٌ عامّةٌ غيرُ مُزمَّنةٍ إلى شخصيّةٍ من هذه الأُسرة باسمِ (بشير حَنّا غَزالة)، كالآتي «أمّا بشير حَنّا غَزالة فهو والد الدّكتور خالد الّذي هو الآن في السّــويد وزوجتــه د. آمــال إيليا جمعــة، وداود غزالــة كان له ولدٌ وحيدٌ تُوفِّيَ شــابًّا- اســمُه نافع- نحو سنة ١٩٤٠». وحين اتّصلتُ بالزّميلة الصّحفيّة السَّيّدة جورجينا بَهْنام كريمةِ الباحثِ بَهْنام ســليم حَبّابة لمعرفــة أيّة معلومات عن هذه الشّــخصيّة، مُبيِّنًا لها ما لديّ من تفاصيل عن الشّــخصيّة المبحوث عنها في رســالة الصّائغ، ذكرتْ- يومئذٍ- نقلًا عن والِدِهــا، أنّه ليس المُشــار إليه في رســالة الصّائغ على وُفْق المُعطيــات الزّمنيّة. وذكرتْ أنّ والدَها وعدَ بأنّه ســيُحاول جمْعَ معلوماتٍ عنه، مُشــيرًا إلى كثرة الأطبّاء في هذه الأُسرة وتشابُه أسمائهم. ولا نعرف اليوم ما إذا كان قد تحقّق هذا المُبتغى العلميّ، بعد أن تُوفّي الباحثُ حبّابة في مدينة أربيل مؤخّرًا (يوم الثّلاثاء ١٣ آب/ أغسطس ٢٠٢٤م) عن عُمرٍ ناهزَ ٩٧ عامًا.

عــلى أنّنــي أُرجِّحُ أنّ بشــير حنّا غزالة الــوارد في كتاب حبّابة، هو نفســه المذكور في رســالة الصّائغ، فقد وجدتُ إشــارةً إلى هذا الاســم نفسِــه مع أبيــه حَنّا غزالــة وأخيه داود غزالــة، في وثيقةٍ كتبَها القّسُّ اســطيفان كجّو في يوم ١٥ آب/ أغســطس ١٩٢٧م، ونشرتْهــا مجلّــةُ (الصّــوت السُّريانــيّ) الّتــي تُصدرها الجمعيّــةُ الثّقافيّــةُ للنّاطقين بالسُّريانيّة في أحد أعدادها الصّادرة سنة ١٩٨٢م. ثُمّ إنّي وجدتُ، بعد ذلك، في ترجمةِ الدّكتور خالد بشير حنّا غزالة، الواردةِ في كتاب الدّكتور محمود الحاجّ قاسم، الموسومِ بــ «الأطبّــاء المَوْصِليّون المُهاجرون» : ص٥٩، هذه المعلوماتِ عن مولده: «وُلِدَ في المَوْصِل سنة ١٩٤١م، في عائلةٍ مَوْصِليّةٍ مُحافظــةٍ وانحدار وظيفــيّ بينهم أطبّاء، والــده الدّكتور بشــير حنّا غزالــة». وهنا تطابقــت المُعطيات، كمــا أنّه لا يفصلُ تاريخَ ولادته عن تاريخ رســالة الصّائغِ سوى أقل من عشرةِ أعوامٍ، وليــس ثمّة ما يمنع- على وُفق المُعطيات الزّمنيّة- من أن يكون ابنَ الشّخصيّةِ المبحوثِ عنها.

(٥٣) كُنــتُ تمنّيتُ عــلى الباحثِ الفاضلِ، في يــومِ افتتاحِ المهرجان سنة ٢٠١٢م، أن يُعيدَ طبْعَ كتابه مُستدرِكًا عليه مــا فاته من تراجِمِ أُسَرٍ مســيحيّةٍ عريقــةٍ في المَوْصِلِ، وقد أخبرتني كريمتُه السّــيدة جورجينا بَهْنام فيما بعدُ بعزمه عــلى ذلك، فلعلّه قد حقَّقَ هذا الرّجــاءَ، فيجدَ المُهتمّون بين أوراقه تلك الاستدراكاتِ، ليُستكمَلَ غرضُ الكتابِ في طبعةٍ جديدةٍ مُوَسَّعةٍ.

للدّكتـور غزالــة أيضًــا[٥٤]، وبذلـك تـزدادُ قيمةُ المعلومــاتِ الواردةِ في رســالة سُـليمانَ الصّائغِ التّاســعةِ والأخيرةِ عن تاريخ الدّكتور بشير غزالة ودراســته الطّبيّة في الجامعةِ اليسوعيّةِ ببيروتَ، الّتــي أوقفتها الحربُ العالميّةُ الأُولــى قُبَيْلَ مَنْحِهِ الشّــهادةَ الرّســميّةَ، والتحوّلاتِ الاقتصاديّةِ الّتي أصابتْ أُســرتَه، لتُصبِحَ مصدرًا أوّليًّا مُعتمَدًا في هذا المجال[٥٥].

وكان مــن المُســتغرَب أنّ أجــد الدّكتــور الطّالبَ يُحدِّدُ في موســوعته وفاةَ سُــليمانَ الصّائغِ بسنة ١٩٦٥م، في حين تُجمِــعُ المراجِعُ الموثوقةُ على أنّ وفاتَه إنّما وقعتْ ســنة ١٩٦١م[٥٦]، وصادفتْ يومَ ولادتِه نفسَــه (١٨ أيْلُوْل/سبتمبر)[٥٧]. وهذا الاضطرابُ يُشير إلى حجم المُشكلات الّتي تُواجِهُ البحــثَ في سِــيَرِ شــخصيّاتٍ مــن المُعاصرين، فكيــفَ بمَن عاشــوا في مراحــلَ مظْلمةٍ لــم تُعْنَ المصادرُ المُوازيةُ بتوثيق وقائعها.

ولأضــرِبْ مثالًا آخــرَ يتّصــلُ بالموضوع، فقد أعادَ الباحثُ الدّكتور باســم عَبُّود الياســريّ سنةَ ٢٠١٢م نشــرَ كتابٍ لشــخصيّةٍ عراقيّةٍ رائدةٍ في مجــال الطّــبِّ والتّاريخ، هــو الطّبيــبُ والمُؤرّخُ والمُعلِّمُ نابليون المارينيّ شــقيقُ الأبِ أنســتاسَ الكرمليِّ، بعُنوان «تنــزه العِباد في مدينة بغداد» الّذي نُشِــرَ لأوّل مــرّةٍ في بيروتَ ســنة ١٨٨٧م، ثُمّ أُعيدَ طَبْعُه بتوسُّــعٍ في السّنة التّالية بالمدينةِ نفسِــها، وجاءت خُطوةُ إعادةِ نَشْرِ الكتاب مُعزَّزةً بتحقيقــه، لكنّ مــا أضعفَ مــن القيمــةِ العلميّةِ للكتــاب أنّ مُحقِّقَه الفاضلَ لم يســتطعْ أن يُقدِّمَ تعريفًا صحيحًا بمُؤلِّفه، وشــكَّكَ فــي أنّ المُؤلِّفَ

(٥٤) وفي مُحاولــةٍ منّــي، يومئذٍ، للوُقوفِ عــلى معلوماتٍ دقيقةٍ عن حياة الدّكتور بشــير غزالة، ذهبتُ إلى مُستشفى الدّكتــور شــوقي غزالة في مدينــةِ أربيلَ، وهو أحدُ أشــهر أطبّــاءِ هذه العائلــة حاليًّا، ولكــن اكتشــفتُ أنّ اللّقاء به صعب التّحقُّق، وأنّ مُســاعِديه يُعطونَ مواعيدَ لمُراجعيه- مهما كانت أهدافُهم- تزيدُ على الشّــهرين، فصرفتُ النّظَرَ عن الأمر.

(٥٥) وكذلك هي الحالُ مع الشّخصيّة الثّانية، عبد الباقي جَلَبِي جنجون القائم على مدرسة الحَجِّيّات بالمَوْصِل، الّذي وثّقتْ رســالةُ الصّائــغِ الرّابعةُ مصيره المُــروّعَ بوفاتِه في باخرةٍ حين كان عائدًا من الحَجِّ في شــهر حَزِيْران/ يونيو ١٩٢٩م، ورمي جُثّتِه في البحر على ما كان يفعلُ الملّاحون في المــاضي، ثُــمّ ما تــلا وفاتَه وخُلــوَّ منصبِ المُتــولّي لهذا الوقف، من نزاعٍ وإجراءاتٍ حُكوميّةٍ بالحَجْزِ على مدرســة الحَجِّيّات، نقلتْها جريدةُ (المَوْصِل)الرّسميّة.

(٥٦) يُنظَــر مثلًا: «الأعلام»: ٣/ ١٢٦، و «مُعْجَم المُؤلِّفين العراقيّين في القرنين التّاسعَ عشــرَ والعشــرين ١٨٠٠-١٩٦٩»: ٢/ ٥٩، و «أعلام الأدب في العراق الحديث»: ١/ ٣٠٤، و «مســيحيّو العراق »: ص٣١١، و «موسوعة أعلام وعُلماء العراق» : ص٣٣٥.

(٥٧) يُنظَر: «أعلام الأدب في العراق الحديث»: ١/ ٣٠٤.

أخٌ لـلأب الكرمليِّ[٥٨]، وهي معلومةٌ صحيحةٌ كان زوَّده بها باحثٌ معروفٌ ذكره في مُقدّمة الكتاب، بقوله: «ويبدو أنّ المُؤلِّفَ قد أدركَ الأبَ أنستاس مـاري الكرمليّ، وهـو مُدرِّسٌ في مدرسـة الآباء الكرمليّيـن، فهو يذكره في الكتاب ولكن باسـمه الأصليّ قبل أن يُنصَّبَ كاهِنًا...، وفي مُراسلةٍ بيني وبين الدّكتور رشيد الخَيُّون، أشارَ إلى أنّ نابليون المارينيّ هو أخ الكرمليّ، مُستنِدًا بذلك إلى كتاب الأُسـتاذ حميـد المَطْبَعـيّ، ولا أظـنُّ هـذا الرّأيَ صحيحًا بسـبب فارق العُمرِ بيـن الاثنين، كما أنّ ذِكْرَ نابليون المارينيّ جاء بتجرُّدٍ دون أن يُشـير إلى ذلك، لكنّي لا أسـتبعدُ أن يكـون عمَّه أو رُبّما من عائلته، وإذا ما تتبّعنا الاسمينِ سنجدُ تشابُهًا، غير أنّ هذا الأمرَ لا يُحسم حين نجدُ اضطرابًا في اسم الكرمليِّ في عددٍ من المصادر»[٥٩].

وتبـدو المُحاججةُ أعلاهُ وكأنّ الكاتبَ الفاضِلَ يبحثُ في سيرةِ شخصيّةٍ عاشت في عُصُورٍ بائدةٍ يصعبُ الحُصُول علـى معلوماتٍ مُوثّقةٍ عنها[٦٠]، وهو أمرٌ يُحتِّمُ على المُؤسّسات الثّقافيّة في البلادِ رعايةَ مشـروعٍ ثقافيٍّ كبيـرٍ يهدف إلى التّعريف المُوثَّـقِ برجـالاتِ العـراقِ ونسـائه فـي العصرِ الحديثِ، يشـتركُ فيـه جُمْلةٌ مـن المُتخصِّصينَ، للخُرُوج بموسـوعةٍ، أو موسـوعاتٍ، جديدةٍ تُعيدُ الاعتبارَ لشـخصيّاتٍ كانت لهـا أدوارٌ في مجالات تفوُّقِها، ويُفضَّلُ أن تكونَ مثلُ هذه الموسـوعاتِ مُتخصِّصـةً في أبوابٍ عدّة؛ لكي يسـهلَ على كُلِّ ذي اختصاصٍ البحثُ في مجالِه.

الكرملـيّ يُرشّـح الصّائغ لعُضويّـة المجمعِ العلميِّ العربيِّ

تُؤكِّدُ الرّسـائلُ المُتبادلةُ، مطلعَ عشرينيّات القرن

(٥٨) يكفـي لتأكيـدِ صِلةِ الإخـوّةِ هذه، أن أُشـيرَ هُنا إلى مقـالاتِ الدّكتـور نابليـونَ المارينـيّ المنشـورةِ في مجلّـة (المـشرِق) البيروتيّـة، الّتي كانت في مُعظمهـا من تعريب أخيـه الأب أنسـتاس الكرمليّ، فقد أخذتِ المجلّةُ تُشـيرُ إلى صلـةِ الإخوّة بينهما مُنـذ نَشَرَتِ القسـمَ الأوّلَ من مقالته الطّبّيّة الموسومة بـ «الفَوْز بالمُراد في تعريف حَبّة بغداد»، في العدد الثّامن من السّـنة الرّابعة، الصّادر في ١ نَيْسان/ أبريـل ١٩٠١م: ص٣٥٤- ٣٦١، إذ وردَ فيهـا تحـتِ العُنـوان العبـارةُ الآتيةُ: «لِجَناب الدّكتـور نابليون أفندي ماريني (تعريب حضرة شـقيقه الأب أنستاس الكرمليّ)». وكذلك فعلتِ المجلّةُ- مثلًا- عند نَشْرِها مقالتَه الموسومةَ بـ «لماذا لا يعيشُ الإنسـانُ مائةَ عام» في العدد ٢٢ من السّنة الخامسـة، الصّادر في ١ كانُوْنَ الأوّلِ/ ديسـمبر ١٩٠٢م: ص١١٢٠- ١١٢٦، فقـد كتبـتْ تحـت عُنوانِهـا العبارةَ الآتيـةَ: «للدّكتور نابليون أفنـدي ماريني، تعريب حضرة أخيهِ الأب أنسـتاس الكرمـليّ». واعتادَ نابليـون المارينيّ أن ينـشر مقالاتِـه الطّبّيّـةَ والتّاريخيّةَ والمُنوّعـةَ في مجلّة (المشرِق)مُنذ صُدُورها سنة ١٨٩٨م، حتّى سنة ١٩٠٤م، وله بين هذين العامين ١٥ مقالةً فيها.

(٥٩) «تنـزه العِبـاد في مدينـةِ بغداد، نُبـذةُ تاريخِ بغدادَ وجُغرافيّتِهـا ١٨٨٧ »، المُعلِّم نابليـون المارينيّ، بتحقيق: د. باسـم عَبُّود الياسريّ (طبعة دار ضفاف): ص٢٩ (من مُقدّمة المُحقّق).

(٦٠) من حُسْـنِ حظّ المُعلِّمِ نابليونَ المارينيّ أنّ مُحقِّقَيْنِ عراقيّينِ آخرَيْنِ تولّيا- بعد عامٍ واحدٍ- إعادةَ تحقيقِ كتابِه هذا نفسِـه، هُما الدّكتور طارق نافـع الحمدانيّ وحكمت رَحْمانـي، فصـدرَ الكتابُ ببغدادَ عن وزارة الثّقافة سـنةَ ٢٠١٣م، ضمن إصدارات مـشروع بغداد عاصمة الثّقافة العربيّـة، بعُنوان «تنزه العِباد في مدينة بغداد، نُبذةُ تاريخِ بغـدادَ وجُغرافيّتِهـا» مُرْفَقًـا ببضعـةِ مُلْحقـاتٍ مُفيدةٍ، وبمباحثَ مُوسَّعةٍ جاءت من جَمْعِ فُصُولِ طبعتي الكتاب البيروتيّتَـيْن في القـرن قبل المـاضي، مع مُقدّمـةٍ أكّد فيها المُحقّقان أُخوَّةَ المارينيّ والكرمليّ.

الماضـي، بين الأبِ أنسـتاسَ الكرملـيِّ والعلّامةِ السّوريّ مُحمّد كُرْد علي، مُؤسِّسِ المجمعِ العلميِّ العربـيِّ (مجمعِ اللُّغـةِ العربيّةِ بدمشـقَ حاليًّا)، ترسُّخَ الصّلةِ بين الكرمليِّ والصّائغِ خلال الأشهرِ الأُولـى من بـدءِ تواصلِهما الكتابيّ هـذا؛ إذ كتبَ كُرْد علي رسالةً مُوجَّهةً للكرمليِّ، مُؤرَّخةً في ٢٥ كانُوْنَ الثّاني/ يناير ١٩٢٣م، راجيًا فيها منه أن يُرشِّـحَ عالِمًا من المَوْصِـلِ لعُضويّةِ المجمعِ بعد مُـرُورِ عامينِ على إنشـائه، وقال فيهـا «انتخبَ المجمعُ بإرشـادِكم السَّـيّدَ مُحمّد رضا الشَّبيبيّ عُضوًا فيه، ولم يُوافِقْ على انتخابِ السّـيِّدِ حبيب العُبَيْديّ، فأرجو أن تكتبوا لي باسمِ أديبٍ آخرَ من المَوْصِلِ يليقُ أن ينضمَّ إلى زُمرتِنا »[٦١].

وجاءت إجابةُ الكرمليِّ في رسـالةٍ خطّيّةٍ، لَمّا تُنشَـرْ حتّى اليـوم، مُؤرَّخةٍ فـي ٣ آذار/ مارس ١٩٢٣م، يُرشِّـحُ فيهـا عالِمَيْـنِ مـن المَوْصِـلِ لعُضويّةِ المجمعِ الدّمشقيّ، كان ثانيهما سُليمانَ الصّائـغِ[٦٢] الّـذي قال فيه «وفـي المَوْصِل أيضًا قسّيسٌ نشيطٌ اسمُه سُليمانُ الصّائغُ، وهو يُنشِئُ اليومَ كتابًا في تاريخِ المَوْصِل »[٦٣].

ويُلاحَـظ هُنـا أنّ الكرملـيَّ حيـنَ طُلِـبَ منه التّرشـيحُ للمجمعِ، الّذي ضمَّ في أوّلِ ما ضمَّ الأبَ الكرمليَّ والشّيخَ محمود شُكري الآلوسيّ والشّاعرَ معروف الرّصافيّ، رشَّـحَ شـخصيّتينِ مُسلمتينِ من النّجفِ والمَوْصِلِ، هما الشّـاعرانِ مُحمّد رضا الشَّـبيبيّ وحبيب العُبَيْديّ، وحينَ لم يحظَ الثّاني بالقَبول[٦٤] من أعضاءِ المجمعِ، عادَ فرشَّحَ اثنينِ من «نَصَارى المَوْصِلِ »، وهو يردفُ في رسـالتِه مُتحسِّـرًا على حالِ المدينةِ العريقةِ، ومُشيرًا إلى بَوارقِ الأملِ النّاشـئةِ فيها يومئـذٍ بقوله: «وهُناك عُلمـاءُ آخرونَ قد أخذوا بالاشـتغالِ مُنذُ عهدٍ غيرِ بعيدٍ وأغلبُهم نَصارى، وأمّا المُسلمونَ فإنّ أغلبَهم يُفكِّـرونَ في حُـبِّ الدُّنيا وملاهيها، ومدارسُـهم مُتأخِّرةٌ، وهذا مِمّا يسوؤُني ذِكْره».

على أنّ ترشيحَ الكرمليِّ للصّائغِ لم يلقَ الصّدى المُتوقَّـع علـى ما يبـدو، فلم يتحقّـق رجاؤه في انتخابـه عُضوًا في ذلك المجمـعِ الرّائد، ولعلّه لو أخَّرَ هذا التّرشـيحَ إلـى ما بعدَ صُـدُور الجُزئين الأوّليـنِ مـن كتـابِ الصّائـغِ المرجعـيِّ «تاريخ المَوْصِـلِ» سـنة ١٩٢٥م، لكانـت فُرصـةُ قبول عُضويّته أقربَ إلى التّحقُّقِ.

---

(٦١) كُنتُ نشرتُ هذه الرّسالةَ الخطّيّةَ لأوّلِ مرّةٍ في كتابي «رسائل الأُسـتاذ الرّئيس مُحمّد كُرْد علي إلى الأب أنستاس ماري الكرمـليّ » الّذي صدرَت طبعتُـه الأُولى في العاصمةِ السّوريّةِ سـنةَ ٢٠٠٠م عن مجمعِ اللُّغةِ العربيّةِ بدمشقَ: ص١٠٠.

(٦٢) الأولُ هو سـليم حَسُّوْن الأديبُ والتّربويُّ والصّحفيُّ العراقـيُّ الرّائدُ (١٨٧٣- ١٩٤٧م) الّذي أسـهبَ الكرمليُّ في الثّناءِ عليه برسـالةِ ترشـيحِه، بوصفِهِ من الشّخصيّاتِ العلميّـةِ المرموقةِ في المَوْصِل. ورسـالةُ الكرمـليِّ هذه الّتي رشّح فيها حسّـونَ والصّائغَ، من بينِ خمسَ عشرةَ رسالةً لم يسـبقْ نشرُها، كان وجّههـا الكرمليُّ إلى مُحمّد كُرْد علي بـينَ سـنةِ ١٩٢٣ و١٩٤٣م، وقـد حصلتُ عـلى صُورِها وأعددتُهـا للنَّشْرِ في كتابٍ- آمُلُ طبعَه قريبًا- مع رسـائلَ كُرْد علي ومُلحقاتها المنشورةِ سابقًا.

(٦٣) لم يكن كتابُ الصّائغ «تاريخ المَوْصِل» قد صدرَ بعدُ بالقاهرة في أوانِ كتابة هذه الرّسالة.

(٦٤) أُرجّحُ أنّ السّـببَ في ذلك مواقفُ العُبَيْديِّ السّياسيّةُ المُؤيِّدةُ للأتراكِ العُثمانيّينَ، المُنسحبةُ قُوّاتُهم قبلَ أعوامٍ من العراقِ وبلادِ الشّـامِ، وهو موقفٌ لم يعُدْ يحظى إلّا بتأييدٍ محدودٍ لدى الرّأيِ العامِّ والأوسـاطِ السّياسيّةِ والثّقافيّةِ في البلادِ العربيّةِ بعدَ نحوِ أربعةِ قُرونٍ من الاحتلالِ.

أصداءُ صُدُور مجلّـة (النَّجْم) وكتاب (تاريخ المَوْصِل) في مجلّة (لُغة العرب)

سألَ الصّائغُ- في مُستهلِّ رسائلِه- الكرمليَّ عن معلوماتٍ تخصُّ التّاريخَ القديمَ لمدينتِه المَوْصِلِ وجوارِها، والأقوامَ الّتي غَزَتْها أو سَكَنَتْها، مُتوخِّيًا الحُصـولَ على إحـالاتٍ علميّةٍ دقيقـةٍ لمصادرِها حيـن كان عاكِفًا علـى جمْعِ مـادّةِ كتابِه (تاريخ المَوْصِـل)، ما يدلُّ علـى رغبةٍ والتـزامٍ بالتّوثيقِ اشـتركَتْ فيـه الشّـخصيّتان، وإن كان الكرمليُّ انطلـق فيه إلى أبعدِ غايةٍ مُمكنةٍ في زمانِه، ومَثَّلَ حالـةً فريدةً فـي التّاريخِ الثّقافـيِّ العراقيِّ، كان لهـا فيما بعدُ تواصلٌ واسـتمراريّةٌ على يدِ أنجبِ مُريديـه: الدّكتـور مُصطفـى جَـواد، وگورگيس عـوّاد وشـقيقه ميخائيل عوّاد، وعبّـاس العَزّاوي وعشـراتٍ غيرِهم ممّن اقتبسوا من الكرمليِّ كثيرًا من خِصالِ التّأليفِ العلميِّ المُوثَّقِ.

ولعلّ ممّا يُستغربُ منه أنّ الصّائغَ لم يُشِرْ إلى مُساعدةِ الكرمليِّ إيّاه في الحُصولِ على معلوماتٍ يُفترَضُ أنّها أفادتْه فـي وضْعِ «تاريخ المَوْصِل» وهو ممّا كان لا يحسـنُ به فِعْلَه، لا سيما وقد قدَّمَ الشُّكْرَ لغيره ممّن شـجَّعَه وأعانَه وزوّده بالكُتُبِ والمعلوماتِ، وخصّ بالذّكر: نقيبَ الأشـرافِ في المَوْصِلِ السّـيّد عبد الغنـي النّقيب، والحاجّ أمين الجليليّ، والسّـيّد عبد اللّه آل سُليمان بك، والسّيد أمجـد العُمَري. ويبدو أنّ الكرمليَّ لم يَنْسَـها له، فقد أشـارَ إلـى ذلك ضمنًـا حين نبَّه إلـى أهمّيّةِ أن ينسِـبَ المُؤلِّفُ كُلَّ ما يسـتقيه إلى مصادره، لَمّا كَتَبَ عن مجلّة (النَّجْـم) إبّانَ صُدورِها بقوله مُعَرِّفـا: «النَّجْـمُ، مجلّة علميّة أدبيّـة للبطريركيّة الكِلْدانيّـة: تصدرُ فـي المَوْصِل مرّةً في الشّـهر، وتُطْبَـعُ فـي ٥٠ صفحـةً بقَطْـع الثُّمْـن. مديرُها المسؤولُ ورئيسُ تحريرِها القَسُّ سُليمان صائغ، وتُطْبَعُ في المطبعة الكِلْدانيّة في المَوْصِل»[٦٥].

ثُمّ يُضيف مُنوِّهًا بالمجلّة بلُغةٍ أدبيّةٍ: «أشـرقت علينـا أشـعّةُ هـذا (النّجم) في ٢٥ ك١ من سـنة ١٩٢٨، فـإذا بها بديعةً تأخذُ بالأبصـار. ثُمّ جاء الجُـزء الثّاني في حينـه، أي في ٢٥ ك٢ من هذه السّـنة، ومقالاته مُفيـدةٌ كُلّ الإفادة، وقد أرصدتِ المجلّـةُ صفحـاتٍ منها لِـدَرْسِ بعضِ فلاسـفةِ العربِ، وذكرتْ فـي الجُزء الأوّل (إخوان الصَّفا)، وفي الجُزء الثّاني (الغزاليّ)»[٦٦].

لكنّ الكرمليّ يُمارس سُلْطة النّقد- كعادته في هذا البـاب- بالقول: «وعند تتبُّعِنـا أقوالَ الكاتبِ رأيناهُ يُعَـرِّبُ أغلبَها عن (مَعْلَمَة الإسـلام)، حتّى أنّـه لَينقلُ عنها أغلاطَها من حيثُ لا يشـعرُ، وكُنّا نودُّ أن ينسِبَ مآخذه في الحاشيّة ليعودَ كُلُّ فَضْلٍ إلـى صاحبه»[٦٧]. ثُمّ يُضيـفُ: «وبعضُ المقالات مُشوَّهَةٌ لِما وقعَ فيها من أوهام الطَّبْع أو من سُوءِ سَبْكِ العِبارة»[٦٨].

بَيْـدَ أنّـه يعود ويَجبُـرُ قولَه بما يُفسِـح الأملَ بتحسُّنِ أداءِ المجلّة، ولا ينسى أن يتمنّى لها عُمْرًا

---

(٦٥) نُـشِرَتْ بعُنـوان «النَّجْـم، مجلّـة علميّـة أدبيّـة للبطريركيّـة الكِلْدانيّة»، في باب (المُشـارفة والانتقاد) من الجُزء الثّالث من السّـنة السّـابعة من مجلّة (لُغة العرب)، الصّادر في شهر آذار/ مارس ١٩٢٩م: ص٢٦٢.

(٦٦) المرجع نفسه: ص٢٦٢.

(٦٧) المرجع نفسه والصّفحة نفسها.

(٦٨) المرجع السّابق نفسه والصّفحة نفسها.

طويلًا: «ولا جَرَمَ أنَّ ذلـك كُلَّه يزولُ مع المِراس. فنتمنّـى للرَّصيفـةِ الانتشـارَ والعُمْـرَ الطّويـلَ الهَنِيْئ»[٦٩]. ولقد صدَّقَ الواقعُ تمنّيَهُ، إذ عاشـت (النَّجْـمُ) بمُدّتي إصدارِهـا لِما يُقـاربُ العَقْدين مـن الزّمان، وهـو عُمْرٌ طويلٌ نسـبيًّا إذا ما قِيْسَ بأعمارِ المجلّات غير الحُكوميّة في العراق ماضيًا وحاضِرًا.

على أنّه لمّا صدرَ الجُزءُ الأوّلُ من كتاب «تاريخ المَوْصِل» في القاهرةِ سـنةَ ١٩٢٣م، كانت مجلّةُ (لُغة العرب) مُتوقّفةً، لذلك لم يكتبْ عنه الكرمليُّ شـيئًا. ولكن بعد أعـوامٍ، تطرّقَ كاتبٌ سـوريٌّ- مصريٌّ معروفٌ إلى هذا الجُزء من الكتابِ مادحًا جُهدَ مُؤلِّفه في مقالةٍ نشرتْها مجلّةُ (لُغة العرب) سـنة ١٩٢٨م. ولَمّا صدرَ الجُـزءُ الثّاني منه في بيروتَ سـنةَ ١٩٢٨م، نَشَرَتْ (لُغة العرب) مقالةً نقديّـةً منهجيّـةً عنـه للكاتب المَوْصِلـيّ محمود المَلّاح. أمّـا الجُزءُ الثّالثُ مـن الكتاب فصدرَ في لُبنانَ أيضًا سنة ١٩٥٦م ولكن بعد وفاة الكرمليِّ بنحوِ عَقْدٍ.

جـاءت مقالـةُ الكاتب المعـروف يُوسُـف إليان سـركيس صاحبِ كتـاب «المطبوعـات العربيّة والمُعَرَّبة» بعُنـوان «نُبْذتان من تاريـخ المَوْصِلِ عن مخطوطٍ قديمٍ للشّـيخ أبي زكريا الأَزْدِيِّ»[٧٠]، وأشـادَ فيهـا بالجُـزء الأوّل مـن كتاب سُـليمانَ الصّائـغ قائلًا: «ذكرَ حضـرةُ الأبِ الفاضلِ القَسِّ سُـليمانَ الصّائـغِ في كتابـه (تاريـخ المَوْصِل) الّذي نَشَـره بالطّبع سنةَ ١٩٢٣، أنّه لم يَقِفْ على كتابين قديميـن- اغتالتهما يدُ الضّياع- يحتويان على المدينة المذكورة»[٧١].

وبعـد أن يُثبِتَ سـركيسُ وُجـودَ الكتابِ الأوّل للشّيخ أبي زكريا الأَزْدِيِّ، يُضيفُ مُثْنِيًا على جُهْدِ الصّائغِ في تأليف كتابه التّاريخيّ الأشهر: «وقد بذل القَـسُّ سُـليمانُ قُصارى جُهْـده في البحث والتّنقيب، فجاء كتابُه مُستوفيًا شافيًا، ومن أحسنِ مـا كُتِبَ في التّواريخ القديمة والحديثة، وهو أهلٌ للشُّـكْرِ والمديح، وجديرٌ بأن يُطالِعَه كُلُّ مَن كان مُؤلِّفًا للتّواريخ الصّحيحة»[٧٢].

أمّا مقالةُ الكاتبِ المَوْصِليِّ، المُقيمِ وقتَها ببغدادَ، محمود الملّاح، المُعنونةُ «تاريخ المَوْصِل- الجُزء الثّاني»[٧٣]، فجاءت نقديّةً منهجيّةً ركّز فيها على تراجِـمِ هذا الجُزء ممّا يخـصُّ العصرَ التُّركيَّ من تاريخ المدينـة الطّويل، وأن حملتْ تقديره لجُهدٍ علميٍّ ضخـمٍ- بمقاييس ذلك الزّمـان- نهضَ به ابـن مدينتِه وصديقُـه القَسُّ، وقال فيهـا الملّاحُ: «اقتنيـتُ في هذا اليومِ نُسْـخةً من الجُـزء الثّاني من كتاب (تاريـخ المَوْصِل)، الّذي ظهرَ في عالم النّشـر حديثًا، لحضـرة القَسِّ الفاضلِّ سُـليمانَ الصّائغِ، فاغتنمتُ من أُوَيْقاتي خِلْسةً، وتصفَّحتُ فيها مباحِثَه عن العصـر التُّركيّ تصفُّحًا مُجْمَلًا، فوجدتُ فـي غُضونِه طفراتٍ، فَـلاحَ لي أن أكتبَ حولَه ما يأتي:

(٦٩) المرجع السّابق نفسه والصّفحة نفسها.

(٧٠) نُشِرَتْ في الجُزء الثّاني من السّنة السّادسة من مجلّة (لُغة العرب)، الصّادر في شـهر شُـباط/ فبراير ١٩٢٨م: ص ١١٢- ١١٦.

(٧١) المرجع نفسه: ص١١٢.

(٧٢) المرجع السّابق نفسه والصّفحة نفسها.

(٧٣) نُشِرَتْ في باب (المُشـارفة والانتقاد) بالجُزء التّاسـع من السّـنة السّادسـة من مجلّة (لُغة العـرب)، الصّادر في شهر أيْلُوْل/ سبتمبر ١٩٢٨م: ص٧٠٣- ٧٠٦.

إنّي أشــكرُ لحضــرة صديقي المُؤلِّــفِ عنايتَه بتاريــخ مســقطِ رأســي الّــذي كان بنــاءُ هيكلي مــن تُرابِه، لكنّي لا أُحجِمُ عــن التّصريح بحقيقةٍ قد تكــونُ مُرّةَ المذاق؛ غير أنّــي أتوقّعُ من القَسِّ الفاضلِ أن يتلقّاها من صديقِه حُلوةً، بالنّظر إلى ما أَعهده فيه من محبّة الحقيقة».

وأَوْجَــزَ الملّاحُ اســتدراكاتِه عليــه بقوله: «إنّ فــي التّأليــفِ نواقصَ جَمّةً، ولا ســيما مــا يتعلّق بالتَّراجِــمِ، وأَخَصُّ أســبابِ هــذه النّواقــصِ، أنّ أقاربَ أصحابِ التَّراجِمِ قبضوا أيديَهم عن إمداده بما يُعينُه على كشْــفِ اللُّثُمِ، إمّا مَيْلًا إلى الخُمُول، أو كَسَلًا، أو عدمَ تقديرٍ لتخليد ذِكْرِ الرّجال، وإمّا لِدواعٍ أُخرى لا محلَّ لِســردِها. وقــد رأيتُ لِحَفَدَةِ أَربــابِ التَّراجِمِ وأَقاربِهــم، عُذْرًا مُمَهّــدًا، بعد أن رأيــتُ جِبــاهَ صفحاتِ الكتاب مــن رقم ١٣٨ إلى رقــم ١٧٦ مرســومًا عليها هــذه العبــارةُ (عُلماء الآراميّة)، مع أنّ هذه الصّفحاتِ مشحونةٌ بِتراجِمِ عُلماء المُســلمين وأُدبائهم، وليس فيها من تَراجِمِ الآراميّين ما يملأُ أكثرَ من صحيفتين، فَلَيْتَ شِعْرِي على أيِّ سُــنَّةٍ جَرَى في إدماجِ الكثيرِ في القليل؟ لا جَــرَمَ أنّ أربــابَ التَّراجِمِ خافوا علــى تَراجِمِهم أن تقعَ في غيرِ موقعِها، ولا بُدَّ أنّ الّذين أســعفوه وقدَّموا إليه شيئًا منها ندموا على ما فعلوه. فَلَيْتَهُ تداركَ الفارِطَ واعتذرَ بأنّ هذا خطأٌ مطبعيٌّ!».

ثُــمّ بدأ الملّاحُ بِذِكْــرِ مُلاحظاتِه الّتي تربو على العَشْــر، والّتــي تركّزتْ على التَّراجِــمِ الواردةِ في الكتــاب وما فيها مِمّا يعدُّهــا نواقصَ، ليختمَ بعد أربــعِ صفحاتٍ مــن الانتقادات بقولــه في عبارة مُختصــرةٍ: «هــذا ما لاحَ لــي أن أُعَقِّــبَ به بعض فُصُــول الكتــاب، غير مُنْكــرٍ مــا للمُؤلِّف من خدمةٍ للأدب».

كانــت خُطّةُ الكرمليِّ فــي مجلّته واضحةً مُنــذ صُدُورهــا لأوّل مرّةٍ فــي تَمُّــوْز/ يوليو ١٩١١م، فقــد أوضــحَ للمُؤلِّفيــن أنّ مَن كان يرغبُ منهم فــي انتقادِ كتابه بالمجلّة فليبعثْ بــه على باب (المُشــارفة والانتقاد)، ومَن كان راغبًا عن النّقد فَلَهُ أن يبعثَ به على عُنوانِ بابٍ آخــرَ هو «التّقاريظ». ورُبّما، لســببٍ من ذلك، لــم يتطرّقِ الصّائغُ إلى هذا النّقد في رســائله الأخيــرة المُوجهة للأب الكرمليّ بحقِّ كتابٍ له يُعدّ الأبرزَ في تاريخ المدينة حتّى ذلك الوقت، والأكثر إحاطةً واستفادةً من قديم ما أُلِّف عنها مــن مخطوطٍ ومطبوعٍ، ومــن الجديد المُؤلَّفِ بالعربيّة وغيرها من لُغاتٍ شرقيّةٍ وغربيّةٍ.

***

والآنَ أضعُ بين يدي القارئ هذه الإضمامةَ من الرّسائلِ النّادرة الّتي جمعتْ بين عَلَمين كبيرين فــي تاريخ بلادنا الثّقافيّ، بعد مُضيِّ أكثرَ من قرنٍ على أوَّلِ تاريــخٍ فيها، وقد وضعتُ لأجلِ التّوثيقِ نماذجَ مُصــوَّرةً من بعضها، وزوَّدتُها بهوامشَ توضيحيّةٍ وتعليقــاتٍ مُتنوّعةٍ أخذت منّي جُهدًا كبيرًا، وعودةً إلى عشرات المصادر والمراجع، كيما تتموضع شواردُ إشاراتها في إطارها التّاريخيّ وفي ســياق عصرها، راجيًا أن يكونَ نشــرُها فُرصةً للتَّحرِّي عن رســائلِ الكرمليِّ الجوابيّةِ لتتكاملَ صُورةُ العلاقةِ بين العَلّامتينِ، وتشجيعِ الباحثينَ على نَشْرِ نماذجَ أُخرى من مُراسلات الصّائغِ مع أعلامِ عصره.

الرّسالة الأولى

حضرة العَلّامة المِفْضال الأب أنستاس الكرمليّ الجزيل الاحترام.

تحيّة واحترام ودُعاء. بعده أُقِرُّ بِقُصُوري في تأخُّري عن تقديمِ مكتوبٍ يُؤكِّدُ لحضرتِكم مودَّتي لكم وتعلُّقي بشخصِكم الكريم، فأعتذرُ والعذرُ من شِيَمِكم الكريمة.

أتيتُكم بمكتوبي لأُتعِبَكم طامِعًا بألطافِكم؛ إذ كُنتم قد وعدتموني بقَبولِ مُراجعتي إذا حصل لي صُعوبةٌ ما، فأرجو أن تُجيبوني على سُؤالي، وهذا هو:

«لَمّا استولى طرايانوسُ القيصرُ الرُّومانيُّ على سواحلِ دجلةَ سنةَ ١١٤م، أسَّسَ مُستعمَرَةً رُومانيّةً في موقعِ العاصمةِ الآثوريّةِ ودعاها نِيْنَوَى»: هذه العِبارةُ موجودةٌ في دفتري، ولكنّي لا أعلمُ من أين كُنتُ قد أخذتُها[٧٤]. ويغلبُ على ظنّي أنّي كنتُ قد طالعتُها في تواريخ الشّرق لماسبيرو[٧٥].

(٧٤) عن هذه الحادثةِ، كتب الصّائغُ في توطئة كتابه «تاريخ المَوْصِل»: ١/ ١٧- ١٨، ما هذا نصُّه: «ولَمّا تملَّكَ خِسْرو، أي أرشاقُ الرّابعُ والعشرونَ، تمكّنت الحزازاتُ العدائيّةُ بين الفِرْثيّين والرّومانيّين، فحملَ طرايانوسُ الإمبراطورُ الرّومانيُّ (سنة ١١٤ مسيحيّة) حَمْلةً زعزعتْ أركانَ المملكةِ الفِرْثيّةِ، وتوغَّلَ في بلادِها فقتلَ ونَهَبَ وسَبَى. ثُمّ استولى على سواحلِ دجلةَ من جبال أَرْمينيا إلى الخليجِ الفارسيِّ، وجعلَ ما بينَ النّهرينِ وأَرْمينيا قطعةً واحدةً خاضِعةً للرّومانيّين. لكنّ هذا الانتصارَ العجيبَ لم يَدُمْ زمنًا طويلًا، فإنّ خسرو عَبَّى جُيُوشَه وحاربَ الرّومانيّين فكسَرَهم واستعادَ بلاده».

(٧٥) للمُستشرق والآثاريِّ الفرنسيِّ، المُتخصِّصِ بالحضارةِ الفِرْعونيّةِ وحضارات الشّرق، غاستون ماسبيرو (١٨٤٦- ١٩١٦م) جُملةُ كُتُبٍ بالفرنسيّة عن حضارات الشّرق القديمة، ذَكَرَ المُطرانُ الكِلْدانيُّ المعروف أَدّي شِير (١٨٦٧- ١٩١٥م) مرجعينِ مُهمّينِ اعتمدهما منها، وذلك في مُقدّمة كتابه «تاريخ كِلْدو وآثُوْر» المطبوع في المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيّينَ في بيروتَ سنةَ ١٩١٢م، هما: «تاريخ الشُّعُوب القديمة في الشَّرْق» وذَكَرَ أنّه صدرَ في ثلاثةِ مُجلّداتٍ طُبِعتْ بباريسَ سنةَ ١٨٩٥م، ومُختصره «تاريخ الشُّعُوب القديمة في الشّرق» الصّادرة طبعتُه الثّامنةُ بباريسَ أيضًا سنةَ ١٩٠٩م. غير أنّه يذكر (في الهامش الثّالث من الصّفحة ٢٥) عنوانَ كتابِ ماسبيرو بصيغة «تواريخ الشّرق القديمة»، ما يعني أنّ ثمّة تصرُّفًا واختزالًا في ترجمة العنوان، وعلى هذا سارَ المُؤرّخ سُليمان الصّائغ فيما يبدو. وكان المُحقِّقُ والمُترجِمُ المصريُّ المعروف أحمد زكي بك (باشا فيما بعد) ترجمَ كتابًا لماسبيرو بُعنوان (تاريخ المشرق)، وأصدرت نظارةُ المعارف العُمُوميّة طبعتَه العربيّةَ الأُولى على نفقتِها في القاهرةِ سنةَ ١٣١٤هـ/ ١٨٩٧م، ليُدرَّسَ بالمدارس الأَميريّة بمصرَ، وضمَّ أربعةَ أبوابٍ: اختصّ بابُه الأوّلُ بتاريخِ مصرَ القديم، والثّاني بتاريخِ الكِلْدانيّينَ والآشوريّينَ، والثّالثُ بتاريخِ الفينيقيّينَ، والرّابعُ بتاريخ الماديّينَ والفُرْسِ. ولعلَّ الصّائغَ كان يعتمد طبعةً فرنسيّةً من كتاب ماسبيرو المذكور في الرّسالة، فهو كان يُجيد هذه اللُّغةَ، وترجمَ منها كُتُبًا.

لِسُــوءِ الحــظّ هذا الكتابُ كان قــد أخذه منّي المرحومُ القَسُّ ماروثــا[٧٦]، والآن أُفتّشُ عليه في المَوْصِلِ ولا أجده. فلرُبَّما يكونُ في مكتبتكم منه. الرّجا[٧٧] إذا سنحتْ لكم أوقاتُكم في مُراجعةِ هذه العبــارة، وتعيينِ الصّحيفةِ من الكتاب، أكونُ لكم شاكِرًا.

هــل عندكم معلومــاتٌ عن الجَرامِقــة[٧٨] الّذين

(٧٦) ترجَمَ أنستاسُ الكرمليُّ للقَسِّ ماروثا الحكيم ترجمةً نادِرةً، في مُســتهلّ مقالتِه الموســومةِ بــ «القَوْل الفَصْل في أصــلِ اليزيديّة»المُذيّلةِ بتوقيعِ (كِلْــدة) وهو أحدُ تواقيعِه المُســتعارةِ، المنشــورةِ في الجُزء الثّاني مــن المُجلّد ٦١ من مجلّــة (المُقتطَف) القاهريّة، الصّــادر في الأوّل من تَمُّوْز/ يوليــو ١٩٢٢م: ص١١٣- ١١٩. وجــاء في فِقْــرة التّمهيد قولُه: «القَسّ ماروثا حكيم، كِلدانيٌّ وُلِدَ في ديارِ بَكْر ســنةَ ١٨٨٧، ولمّــا بلغ الثّانيةَ عشرةَ مــن عُمره ذهبَ إلى المَوْصِلِ ودخلَ المدرســةَ الإكليركيّة الّتي فيها للآبــاء الدّومنيكيّين، فــدرسَ العربيّةَ والكِلدانيّــةَ والفرنســيّةَ واللّاتينيّةَ، وكانَ يعــرفُ التُّركيّةَ والأَرمنيّةَ، فكُهِّنَ ســنةَ ١٩١٢، وأظهرَ من سُــمُوِّ الإدراكِ وتحقيقِ أُمورِ التّاريخِ ما دفعَ رُؤســاءهُ إلى أن يَــروا فيه رجُلًا فَذًّا في إعــادةِ تاريخِ الكِلدانِ إلى نِصابِه. وكانَ أيضًــا يدرسُ اليُونانيّةَ ليُطالِــعَ كُتُبَ الأقدمينَ الّذينَ أَلّفوا النّصانيــفَ المُختلفةَ من بلادِ العــراقِ وما يُجاورُها. وفي أيّــامِ العُطْلــةِ كان يتجــوَّلُ في أديرةِ الجزيــرةِ وقُراها ليلتقطَ مــا يجدُ فيها من بقايا الكُتُبِ الخَطِّيّةِ الّتي صَبَرَتْ على عَبَــثِ الزّمانِ بها، فوجدَ منها شــيئًا غــيرَ زهيدٍ، ومن جُمْلَــةِ ما توفَّــقَ للعُثُورِ عليه كتابٌ ضخــمٌ في تاريخِ ديارِ العــراقِ والجزيرةِ، لُغَتُه إرْميّةٌ، ومــن جُملةِ وما وجدهُ فيه تاريخ نُشُــوءِ اليزيديّةِ». ثُمّ ذكرَ الكرمليُّ أنّ القَسَّ سَــلَّمَه ترجمةَ القِطْعةِ المُتعلّقــةِ بتاريخِ اليزيديّةِ لَمّا كانَ ببغدادَ، قُبَيْلَ وفاته في الأحواز نهارَ السّــبت ٢ أيْلُوْل/ سبتمبر من سنة ١٩٢١م، وهي القِطْعَةُ الّتي نشرَها في هذه المقالة بعد التّمهيد.

(٧٧) لعلّه يُريد: «الرّجاء».

(٧٨) أوردَ ابنُ منظور في «لســان العرب»: مادّة (جَرْمَق) عَرْضًا لأقوالِ اللُّغويّين السّابقين بشأن هذه اللّفظة، فقال: «التّهذيب: الجَرامقةُ جيلٌ من النّاس. الجَوْهريُّ: الجَرامقةُ قــومٌ بالمَوْصِلِ أصلُهــم من العَجَم. أبو تُراب: قال شــجاعٌ: الجِرمــاق والجِلماق ما عُصِبَ بــه القوسُ من العقب، وهو مــن الحُروف المُعَرَّبَة ولا أصلَ لهــا في كلام العرب». وللأب الكرمليّ مقالةٌ بعُنوان «الجَرامِقة»، نشرَها في مُستهلِّ الجُزء الرّابع من مجلّته (لُغة العرب) في سنتها الثّالثة، الصّادر في تَشْرِيْن الأوّل/ اكتوبر ١٩١٣م: ص١٦٩- ١٨٠، استقصى فيها آراءَ مُؤرِّخي العربِ المُتضاربةَ بشــأن أصل الجَرامقة، ثُــمّ تناول آراءَ المُســتشرقين. وتطرّق إلى لغُتِهــم وديانتِهم وديارِهــم، وقدَّمَ أدلَّــةً على أنّهم عربٌ، وهو يــرى أنّ اللُّغةَ الجَرمقانيّة هي فرعٌ من فُرُوع اللُّغة الإرْميّة.

وكتــبَ الصّائغُ مُلْحَقًا خاصًّــا بالجَرامقةِ في الجُزء الأوّل من كتابه «تاريخ المَوْصِل»: ١/ ٤٥- ٥٠، ناقَشَ فيه أقوالَ المُؤرِّخــين العرَب والغربيّين في أصلهم وانتســابِهم، ورجَّحَ أنّهم آراميّون أو نَبَطٌ على حدِّ تعبيره، مُتابِعًا رأيَ المُستشرِق الألمانــيّ الشّــهير ثيــودور نولدكــه (١٨٣٦- ١٩٣٠م)، ومُخالِفًــا رأيَ الكرمليّ الّــذي كانت مقالتُه عــن الجَرامقة في مجلّــة (لُغة العــرب) أحدَ مواردِ مبحثِــه في المُلْحَق، وقد أشــارَ إليه في الهامش رقم ٣ مــن الصّفحة ٤٧ من «تاريخ المَوْصِــلِ» بقولــه: «طالِعْ مجلّــةَ (لُغة العــرب) لصاحبها العلّامة الأب أنســتاس الكرمليّ»، مُشيرًا للمُجلَّد والصّفحة. وجديرٌ بالإشــارة هُنــا، أنّه لم يذكر اســمَ الكرمليِّ صراحةً وهو يُخالِفُــه الرّأيَ حولَ أصــلِ الجَرامقة في الصّفحة ٤٩ من كتابه، بل أشــار إليــه بقوله «بعض المُحقِّقــين»، رُبّما تأدُّبًــا منه مع رجلٍ يعده أُســتاذًا، ومُراعــاةً منه لِمُؤازرته إيّــاه، وإن كانتِ المُخالفةُ في الرّأيِ أمرًا طبيعيًّا بين العُلماء، فقــال: «فلا غَرْوَ إذا قُلْنا أنّه يبعدُ أن يكون أصلُ الجَرامقةِ مــن العرب على ما قاله بعضُ المُحقّقين، ودعموا قولَهم بما رواه الأَصْبَهانيُّ»، ودافعَ الصّائغُ بقُوَّةٍ عن رأيه، مُحاجِجًا الكرمليَّ الّذي اعتمــدَ رُوايةً للأصبهانيّ عدَّها إثباتًا لعُروبة الجَرامقــة، مُفنِّدًا ما جاء فيها من اســتنتاجٍ، ومُعزِّزًا قولَه باقتباســاتٍ من ياقوت الحَمَويّ وابنِ خلدونَ كان الكرمليُّ اســتعرضها وغيرَهــا في مقالتــه، وقــال الصّائــغُ في نهاية مُحاججتِه بلهجــةِ انتصارٍ تجاوزَ بها لهجةَ التّأدُّبِ في أوّل كلامِــه: «فترى من أدلّةِ المُدَّعِيْنَ بعربيّةِ الجَرامقةِ دليلًا بيّنًا على نقيضِ هذا المُدَّعَى».

كانوا يسكنون المَوْصِلَ، وإذا يوجد عندكم مُؤلّفٌ عـدا تاريـخ العِبَر لابن خلـدون ج٢ يبحثُ عنهم، خُصُوصًـا إذا كان مـن المُؤرِّخيـن المُحقِّقيـن العصريّيـن، أرجـو أن تُلخِّصوا لـي مقالةً فيهم، وتُفيدونـي عن اسـم الكتاب، وتعييـن الصّحيفة منه.

العَفْـوُ أنّـي أُصدِّعُكم في هذين السُّـؤالين مع علمي في مشـغوليّتكم الكثيـرة[٧٩]، مع ذلك فقد سَـبَقْتُ وعَرَضْتُ لأبوَّتِكم، أنّـي طامِعٌ في لُطفِكم ومَيْلِكـم فـي تشـجيعِ كُلِّ طالِـبٍ يرغـبُ في أن يستقي من فَضْلِ علمِكم.

أختِـمُ أبتـي[٨٠] الفاضل بتقديم الاحتـرام وتأكيد إخلاصي وموّدتي. لا زلتم بخيرٍ وعافيةٍ مولاي.

في ٢١ أيْلُوْل سنة ٩٢٢[٨١]

الدّاعي

القَسّ سُليمان صائغ

بَطْرِكْخانة الكِلْدان

القَسّ سُليمان صائغ[٨٢]

الرّسالة الثّانية

حضرة العَلّامة المِفضال الأب أنستاس المُوَقَّر.

أرجو المعذرةَ عن تأخيـري في الجواب لِكارْتِكم المُؤرَّخة في ١٠ شُـباط؛ لأنّي حينَ وُصُولِها كُنتُ خارِجًا في دَيْرِ مار أُوْراها بجوارِ قريةِ باطنايا[٨٣] الّذي شُـيِّدَ حديثًا على أنقاضِه القديمةِ، وقضيتُ

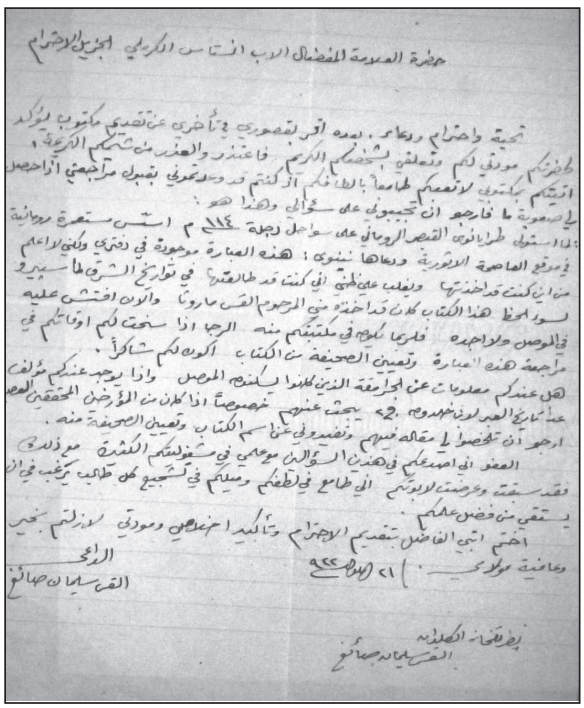

صورةٌ لأصلِ الرّسالة الأُولى المُؤرَّخة في ٢١ أيْلُوْل/ سبتمبر ١٩٢٢م.

(٧٩) كـذا. ولعـلّ الصّـواب: «مـع علمي بمشـغوليّاتكم الكثيرة».

(٨٠) كذا. والصّواب «أبتِ».

(٨١) اعتـادَ الصّائغُ أن يكتفـي بآخر رقمين أو ثلاثة من أرقام السّـنوات، في رسائلِه التِّسْـعِ كُلِّها. وقد أبقيتُها كما هي.

(٨٢) هذا هو العُنوان البريديّ لسُليمان الصّائغ.

(٨٣) تقدّم التّعريفُ بالدَّيْر والقرية.

هناك بضعةَ أيّامٍ لِأخذِ رُسُومِ بعضِ آثاره.

كتـابُ التّاريـخ Anonyme[٨٤] الّـذي تولّـى طَبْعَــه غِبْطَــةُ بطريرك السُّــرْيان[٨٥] ليس عندي

(٨٤) معنى اللّفظةِ في «المورد، قاموس إنكليزيّ- عربيّ»: ص٥٠: «١- شـخصٌ (وبخاصّـةٍ كاتبٌ) غيرُ مُسَـمًّى ٢- كِتابٌ غُفْلٌ (لا يحملُ اسـمَ مُؤلِّفِه)». والكتابُ المُشـارُ إليه في الرّسـالة، يتنـاولُ تواريـخَ العالمِ مُنذ بِـدْءِ الخليقةِ إلى القرن الحادي عشر للميلاد، صَنَّفَهُ باللُّغةِ السُّريانيّةِ راهبٌ سُرْيانيٌّ مجهولُ الاسـم يُرجَّحُ أنّه من مدينة الرُّها (مدينة تاريخيّة في الجزيـرة الفُراتيّة، تقع حاليًّا في جنوب شرقيِّ تُركيا)، ووصلتْ منه نُسْـخةٌ خطِّيّةٌ نادِرةٌ تَرْقى إلى أواخرِ القرنِ الرّابـعَ عشرَ للميلاد. يُعْرَفُ الكتابُ باسـم «تاريخ الرّهـاويّ المجهـول»، وقد طُبِـعَ القسـمُ الأوّلُ منه في دَيْر الشَّرْفـة في لُبنان سـنةَ ١٩٠٤م، بجُهُود بطريرك السُّرْيان الكاثوليـك أغناطيـوس أفـرام الثّانـي رَحْمانـي- الآتيةُ ترجمتُه في الهامشِ اللّاحقِ- الّذي ظفرَ بنُسـخته الخطِّيّةِ في تُركيـا، وعلَّق عليه الحواشيَ، وصَدَّره بمُقدّمةٍ تاريخيّةٍ- كما سـيردُ في الرّسالة- وترجمَ مُلخَّصَه إلى اللُّغة اللّاتينيّة، ثُـمّ نَـشَرَ رَحْماني القسـمَ الثّانيَ منه سـنةَ ١٩١١م، ولم يتسنَّ له نَشْرَ ما تبقّى من هذا التّاريخ، فتعاونَ عالمان من فرنسا ولُبنان على نَشْرِ النَّصِّ السُّرْيانيّ بجُزئين في بلجيكا سـنة ١٩١٦م. وبعـد أكثرَ مـن ثمانيةِ عُقُـودٍ على صُدُور الكتاب لأوّل مرّةٍ، تولّى الأبُ ألْبير أبونا تعريبَ الجُزءِ الثّاني منه عـن السُّرْيانيّة ووضعَ حواشـيَه، وصـدرَ مطبوعًا في بغداد سـنةَ ١٩٨٦م، بعـد أن كان ترجمَه مـن السُّرْيانيّة إلى الفرنسـيّة ونُشِرَ في بلجيكا سنة ١٩٧٤م. عاش مُؤلِّفُ الكتابِ في عصْرِ الحُرُوب الصّليبيّةِ، وعاصرَ الدّولةَ الزُّنْكيّة وبِـدْءِ الدّولةِ الأيّوبيّـة، ويُرجَّحُ أنّـه كان في مدينةِ القُدْسِ حينما استعادها جيشُ صلاح الدِّين الأيّوبيِّ من الصّليبيِّين يـوم الجُمعة ٢٧ رجب ٥٨٣هـ/ ٢ تَشْرِيْن الأوّل- اكتوبر ١١٨٧م. والجُـزء الّذي عرّبه الأبُ ألْبير أبونا يمتدُّ من عهْدِ الخليفـةِ العبّاسيِّ هارونَ الرَّشـيدِ سـنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م إلى نحوِ سـنةِ ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م، ويُقـدِّمُ الكتابُ أحداثَ التّاريخِ العربيِّ الإسـلاميِّ، والصّراعَ النّاشـبَ بين الممالكِ الإسـلاميّةِ والمسيحيّةِ على ثُغُور الشّامِ وسواحِله، على وفقِ رُؤيّـةِ راهبٍ مسـيحيٍّ من مدينة الرُّها الّتي اسـتعادها في زمانـه عمادُ الدّيـن زُنْكي من الصّليبيّين سـنةَ ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م. تُنظَـر: مُقدّمة الأبِ ألْبـير أبونا للجُزء الثّاني من هـذا التّاريخ، و «التّاريخ والمُؤرِّخـون العراقيّون في العَهْد العُثْمانيّ »، د. عماد عبد السّلام رؤوف، (طبعة دار الورّاق ٢٠٠٩م): ص٤١٥.

(٨٥) هـو أغناطيوس أفـرام الثّاني رَحْمانـي (المولودُ في المَوْصِـل سـنة ١٨٤٨- والمُتوفَّى بالقاهرة سـنة ١٩٢٩م) بطريـرك السُّرْيـان الكاثوليـك: عالِـمٌ باللُّغـات الشّرقيّة والأوربيّـة، تعلّـم بالمَوْصِـل ثُـمّ درسَ في رومـا الفلسـفةَ واللّاهـوتَ، كان اسـمُه قبـل أن يُصبـح قَسًّـا لويـس بن إبراهيـم رَحْماني، ترقّـى في الدّرجـات الكهنوتيّة، وتنقّل بـين عدّة مُدُن (الرُّها وبغدادَ وحَلَـب ومارِدِيْنَ ثُمّ بيروتَ) شـاغلًا مناصِبَ دينيّةً، ونُوديَ به بطريركًا سنة ١٨٩٨م، ثُـمّ نَقَـلَ مقره مـن مارِدِيْـنَ إلى بيروتَ. كان يُحسِـنُ من اللُّغـات، عـدا العربيّـة، السُّرْيانيّـة واللّاتينيّـة واليونانيّة والإيطاليّـة والفرنسـيّة والإنكليزيّة والألمانيّة والإسـبانيّة. أَلَّفَ ٢٦ كتابًا في لُغاتٍ مُختلفةٍ، منها بالسُّريانيّة «قاموس اللُّغـة السُّريانيـة»، وبالعربيّة «مُختصَر تواريـخ القُرُون المُتوسّـطة» و «مُختصَر في التّواريخ القديمة» و «مُختصَر التّواريخ المُقدّسة». أنشأ مجلّة (الآثار الشّرقيّة) وكتبَ كثيرًا من أبحاثِها، وتوقَّفتْ سنةَ رحيلِه، وله مقالات وكُتُبٌ دينيّةٌ باللُّغتين السُّريانيّة واللّاتينيّة. مات بالقاهرة ونُقِل جُثمانُه إلى لُبنـان. تُنظَـر ترجمتُه بمجلّـة (لُغة العـرب) في فِقْرة بعُنـوان «البطريرك أغناطيـوس أفرام الثّانـي رَحْماني» منشـورة في بـاب (أخبـار الشَّـهْر): الجُزء السّـادس من السّنة السّابعة، الصّادر في شهر حَزِيْران/ يونيو ١٩٢٩م: ص٥١١، و «مُعْجَم المطبوعات العربيّة والمُعَرَّبة »، يُوسُف إليـان سركيس: ٢/ ٩٢٩، و «مصادر الدّراسـة الأدبيّة »، يُوسُـف أسـعد داغـر: ٢/ ٣٨٤- ٣٨٧، و «الأعلام »: ٥/ ٢٤٦ (وفيه أنّه وُلد سنة ١٨٤٩م)، و «التّاريخ والمُؤرِّخون العراقيّـون في العَهْد العُثْمانـيّ »: ٤١٣- ٤١٦. أمّا الفِقرةُ المنشـورةُ في مجلّة (لُغة العرب) عن هـذا البطريرك بُعَيْدَ رحيلِه، فقـد كتبها الكرمـليُّ ولكن من دُون وَضْعِ اسـمِه عليهـا، كمـا كان يفعلُ غالبًا في مثلِ هذه الشَّـذَرات، وهي ترجمةٌ مُقتضَبةٌ في سـياقِ خَبَرِيٍّ كانت أشبه بالرِّثاء، وممّا قاله فيها: «كان له أَجَلُّ وُقُوفٍ على آدابِ الشَّرْق وتواريخِه وعُلُومِه، وله تآليفُ عديدةٌ بأَلْسِنَةٍ شتَّى تشهدُ له بمعارفِه الوافرةِ وعُلُوِّ مداركِه، فكان من أعلمِ أعلامِ الشَّرْقِ ومن أبرِّ أبنائه. رحمه اللهُ رحمةً واسـعةً »، وذكـرَ فيها أنّه وُلِدَ في المَوْصِلِ يـوم ٧ تَشْرِيْن الثّاني/ نوفمبر ١٨٤٨م (خِلافًا لما أورده الزِّرِكْلِيُّ- فيما بعدُ- في أعلامِه. ولا شكّ في أنّ الكرمليَّ في مثلِ هذا أَثبت، لا سـيما وقد حدَّدَ اليومَ والشَّهْرَ)، وتُوفِّي في القاهرة يوم ٧ أيّار/ مايو ١٩٢٩م.

منـه، والقِطْعَـةُ الّتـي نشـرْتُها فـي العـراق[٨٦] المُمتاز أعطاني إيّاها حضرةُ المُنْسـنيُور يُوسُـف خَيَّـاط[٨٧] منسـوخةً مـن الكتاب المذكـور. وقد أفادنـي حضرتُه أنّ هذا الكتـابَ وجده مع غِبْطَةِ البطريـرك في إحـدى مكتبات مارِدِيْـنَ[٨٨]، وقد أخذَ رُسُـومَ صحائِفِـه ثُمّ صَـدَّره غِبْطَتُه بمُقدّمةٍ

(٨٦) جريـدة يوميّة أدبيّـة سياسـيّة اقتصاديّة، صدرت ببغـدادَ يوم الثّلاثـاء ١ حَزِيْران ١٩٢٠م بدعـمٍ من إدارة الاحتـلال البريطانـيّ أوّل الأمـر، لتكون امتـدادًا لجريدة (العـرب) البغداديّة الّتي كانت قد توقّفـت قبل يومٍ واحدٍ (٣١ أيّـار/ مايـو ١٩٢٠م) مُعلِنـةً في عددهـا الأخير عن احتجابهـا وصُـدُور (العراق) محلّها في اليـوم التّالي. وقد منـحَ البريطانيّـون مطبعـةً لصاحبِها رزّوق غنّـام، لكنّه حاولَ تعديلَ سياسـتِها لصالح بلاده بعـد تتويج فيصلِ الأوّلِ ملـكًا في آب/ أغسـطس ١٩٢١م. توقّفـت الجريدةُ نحـو عامين (بـين سـنة ١٩٣٢ و١٩٣٤م)، لكنّها عادت واسـتمرّت بالصُّـدُور طويلًا، حتّى احتجابهـا النّهائيّ في أواخـر سـنة ١٩٥٤م. يُنظَر: «كشّـاف الجرائد والمجلّات العراقيّة»، زاهـدة إبراهيم: ص١٢٥. وورد فيه، غَلَطًا، أنّ صُدور الجريدة وقع في ٣١ أيّار/ مايو ١٩٢٠م، والصّواب ما أثبتناه أعلاه.

(٨٧) هـو يُوسُـف بن بَهْنام بن يُوسُـف خيّـاط (المولود في المَوْصِـل سـنة ١٨٨٢م، والمُتوفّى فيها سـنة ١٩٤٧م)، رجل دين مسـيحيّ كان له دَوْرٌ سياسيٌّ، درس في مدينته، ثُـمّ سـافر إلى اسـطنبولَ فتعلَّـمَ هنـاك في معهـدٍ دينـيٍّ كاثوليكـيٍّ، ولبسَ ثيابَ الرَّهْبَنَة، وعـاد إلى المَوْصِلِ ليُقدِّمَ خدمـاتٍ دينيّةً وثقافيّةً. انتُخِب- حـين كان خُوْرِيًّا- نائبًا عن المَوْصِل في المجلس التّأسـيسيّ العراقيّ سـنة ١٩٢٤م، وانتمى وقتها إلى حزب التّقدُّم الّذي أسَّسـه رئيسُ الوزراء عبدُ المُحسِـن السَّـعْدون. وكان نائبًا في مجلـس النُّوّاب في الدّورات: ١٩٢٥- ١٩٢٨م، و١٩٢٨- ١٩٣٠م، و١٩٣٠- ١٩٣٢م. تُنظَـر ترجمتُـه في كتـاب «أعـلام السّياسـة في العـراق الحديث»، مِـيْر بَـصْرِي: ٢/ ٣٣٨. ويُنظر أيضًا: «أقليّات العراق في العَهْد الملكيّ: دراسـة في الدَّوْر السّياسيّ والبرلمانـيّ»، زيد عدنـان ناجـي: ص١٢٩- ١٣٠. اختُير عُضـوًا في الوفد العراقيّ الّذي توجَّـهَ إلى جِنَيْف للتّفاوض على انضمام العراق إلى عُصْبةِ الأُمم سنة ١٩٣٢م، بوصْفِهِ عُضْـوًا في مجلسِ النُّـوّاب ومُمثِّلًا عن الطّائفة المسـيحيّة، وكان قد أصبحَ وقتهـا مُطْرانًا، غير أنّ وزيرَ الخارجيّةِ في العَهْد الملكيِّ موسى الشّـابَنْدَر، سَرَدَ موقفًا سلبيًّا له حيالَ توجُّهـاتِ الحُكومـة العراقيّة للانضمام إلى هـذه المنظمّة الدّوليّة، فقـد ذكرَ في كتابه «ذكريات بغداديّة: العراق بين الاحتلال والاسـتقلال »: ص١١٧، أنّ يُوسُف خيّاط «أتى إلى الأمير عادل [أرسـلان] ظانًّا إيّاه أَوربيًّا، وأخذ يتحدّث إليه بالفرنسـيّة، وقال: (أنا المُنْسـنيُور يُوسُـف خيّاط من المَوْصِـل في العـراق.. أتيتُ لجِنَيْـف مع الوفـد العراقيّ.. ولكن أنتم الأوروبيّين أمركم عجيب.. كيف تسمحون لبلادٍ مُتأخّرةٍ ومُتعصِّبـةٍ كالعراق بدُخول عُصْبةِ الأُمم؟). وأخذ يدور حول موضوع الخطر على الاقلّيّات المسيحيّة.. ووقعَ الأميرُ عادل في حَيْرة ». يُنظَر أيضًا: «إنكليز في حياة فيصل الأوّل»، يعقوب يُوسُف كوريّة: ص٦٣.

(٨٨) ذكرَ الأب أَلْبير أَبونا في مُستهلِّ مُقدّمة تعريبِه للجُزء الثّاني من كتاب «تاريخ الرّهاويّ المجهول »، أنّ البطريرك رَحْماني عثرَ على مخطوطـةِ هذا التّاريخِ بنَصِّه السُّرْيانيِّ في مدينة القُسطنطينيّة (اسطنبول).

ومارِدِيْنُ: مدينةٌ تاريخيّةٌ قديمةٌ غنيّةٌ بآثارِها الإسلاميّة، تقـعُ في جنوب شرقيّ تُركيا على الحُدود السُّـوريّة، ضُمَّتْ سـنةَ ١٩٢٣م إلى تُركيا على إثـر مُعاهدة لُـوْزان، وأُطلِقَ اسـمُها على الولايةِ التُّركيّةِ الّتي تقع فيها. يتكلَّمُ سـكّانُها مزيجًا من اللُّغـات العربيّة والتُّركيّة والكُرْديّة والسُّرْيانيّة. ويعـودُ تاريخُها القديـمُ إلى العصر الآشـوريّ، وكانت في العُصُور الإسلاميّة اسمًا لقلعةٍ مشهورةٍ شديدةِ التّحصين على قمّة جبل الجزيرة الفُراتيّة، مُشرفةٍ على نَصِيْبِيْن ودارا، وأمامها سهلٌ واسـعٌ كانت فيه الأسواق والدُّور والخانات والمدارس. يُنظَر: «مُعْجَم البُلدان» (طبعة دار صادر): ٥/ ٣٩.

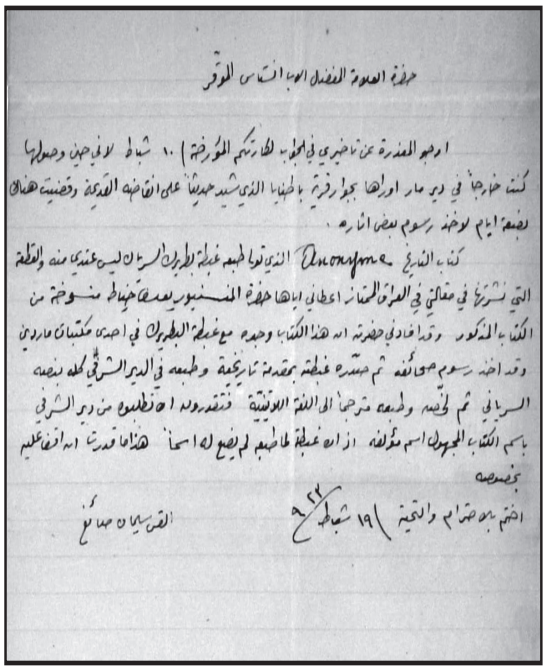

صورةٌ لأصلِ الرّسالة الثّانية المُؤرَّخة في ١٩ شُباط/ فبراير١٩٢٣م

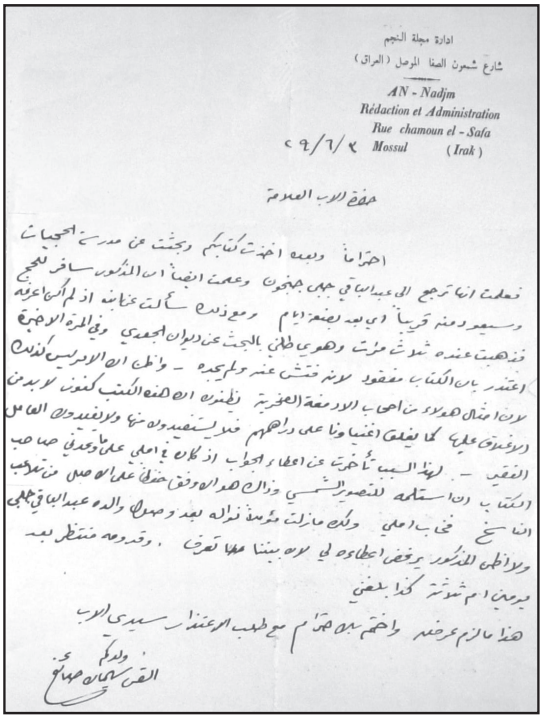

صورةٌ لأصلِ الرّسالة الثّالثة المُؤرَّخة في ٣ حَزِيْران/ يونيو ١٩٢٩م.

تاريخيّـةٍ، وطَبَعَه- فـي الدَّيْرِ الشّـرفي[٨٩]- كُلَّه بنصِّه السُّـرْيانيِّ، ثُمّ لَخَّصَـهُ وَطَبَعَهُ مُتَرْجَمًا إلى اللّاتينيّـة. فتقدرون أن تطلبوه من دَيْر الشّـرْفي باسـمِ الكتابِ المجهولِ اسمُ مُؤلِّفِه؛ إذ إنّ غِبْطَتَهُ لَمّا طَبَعَهُ لم يضعْ له اسمًا.

هذا ما قدرتُ أن أقفَ عليه بخُصُوصِه.

أختِمُ بالاحترام والتّحيّة.

(٨٩) سـيرد في السَّـطْرِ اللّاحِقِ من الرِّسـالةِ باسـمِ «دَيْر الشّرفي»، وقد سبقَ التّوضيحُ، في المُقدّمة، أنّ ما دوّنه سُليمانُ الصّائـغُ هنا، صوابُـه «دَيْر الشَّرْفة»، ويُعـرَف أيضًا بدَيْرِ سـيِّدةِ النّجاة ، وهو دَيْرٌ كبيرٌ في قضاء كِسْرَوان بمحافظة جبـلِ لُبنان شـمال بـيروتَ، أنشـأه للسُّرْيـانِ الكاثوليكِ البطريـركُ مار أغناطيـوس ميخائيل الثّالث جروة سـنةَ ١٧٨٦م. وعن دَوْرِ البطريرك رَحْماني في تطويرِ هذا الدَّيْر والاهتمام بمطبعتِه، جاء في مقالةِ الشّـيخِ شاهين الخازن الموسـومةِ بـ «تاريخ العِلْمِ في لُبنان »، المنشـورةِ في مجلّة (الجامعـة) الصّادرة في مدينة الأسـكندريّة بمصر، الجُزء الأوّل من المُجلّد الرّابع، شُـباط/ فبراير ١٩٠٣م: ص٢٦- ٣٣، قولُـه (ص٢٩): «أمّـا المطابـعُ الأُخـرى الموجودةُ في بعـض الأَديار، فقد أُبطِلَ أكثرُهـا بإهمالِ أصحابِها لها لا لسببٍ آخرَ. والمعروفُ منها اليومَ مطبعةُ دَيْرِ الشَّرْفة الّتي جدَّدها رئيسُه السّابقُ السَّيِّدُ بُطْرُس هبرا، مُطْران المَوْصِلِ الحاليّ. ولِغِبْطةِ السَّـيِّد أفرام رَحْماني يدٌ مشـكورةٌ في هذا التّجديـد، وهـي مخصوصـةٌ بمطبوعاتِ الدَّيْـر وببعضِ مـا قَوُيَتْ علاقتُـه بالطّائفةِ السُّرْيانيّة. ويصـدُرُ عن هذه المطابعِ كُلَّ يومٍ كُتُبٌ جديدةٌ من أوضاعِ اللُّبنانيّين وتأليفهم وتعريبِهـم». ويُنظَر عن تاريخ هذا الدَّيْـر: «الدُّرُّ المنظوم ردًّا على الأسـئلة والأجوبة المُمضاة باسم السَّيِّد البطريرك مكسـيموس مظلـوم»، بولس بُطرس مسـعد: ص١١٠- ١١، ومُقدّمة كتاب إسـحق أرملـة «الطُّرْفة في مخطوطات دَيْر الشَّرْفة».

في ١٩ شُباط سنة ٩٢٣

القَسّ سُليمان صائغ

الرّسالة الثّالثة

إدارة مجلّة النَّجْم

شارع شَمْعون الصَّفا– المَوْصِل (العراق)

AN –Nadjm

Rédaction et Administration

Rue chamoun el –Safa

Mossul (Irak)

٣/ ٦/ ٢٩

حضرة الأَب العَلَّامة.

احترامًـا وبعـده. أخـذتُ كتابَكـم وبحثتُ عن مدرسـةِ الحَجِّيّات[٩٠]، فعلمتُ أنّها ترجِعُ إلى عبد الباقي چَلَبِي جنجون، وعلمـتُ أيضًا أنَّ المذكورَ سـافرَ للحَجِّ، وسـيعودُ منه قريبًا، أي بعد بضعةِ أيّام.

ومـع ذلك سـألتُ عـن ابنه، إذ لم أَكُـنْ أعرفُه، فذهبـتُ عنده ثلاثَ مرّاتٍ وهـو يُماطِلُني بالبحث عن ديـوانِ الجَعْدِيِّ[٩١]. وفي المرّةِ الأخيرةِ اعتذرَ بـأنَّ الكتـابَ مفقودٌ؛ لأنّـه فَتَّشَ عنـه ولم يجده. وأظنُّ أنَّ الأمرَ ليس كذلك[٩٢]؛ لأنَّ أمثالَ هؤلاءِ من أصحابِ الأدمغةِ الصَّخْريَّة يظنّون أنّ هذه الكُتُبَ كُنُوزٌ لا بُدَّ من الإغلاق عليها كما يغلِقُ أغنياؤنا على

(٩٠) سبقَ التّعريفُ بها في المُقدّمة.

(٩١) يذكرُ ابنُ النّديم (المُتوفَّ نحو سنة ٣٨٠هـ) في كتابه المرجعيّ الرّائد «الفِهْرِسـت» (بتحقيق: إبراهيم رمضان): ص١٩٢، أنّ ثلاثـةً من كبار رُواة الشّـعر العربيّ (هم أبو سعيدٍ السُّكَّريُّ والأَصْمعيُّ وابنُ السِّكِّيْت) قد عملوا ديوانَ النّابِغـةِ الجَعْدِيِّ، ومـع ذلك لم تصلْ إلينا نُسْـخةٌ خطّيّةٌ من ديوان ذلك الشّـاعر المُخَـضْرَم، أبي ليلى، قيس بن عبد اللـه بن عُدَس بـن ربيعةَ الجَعْدِيِّ العامـريّ. وهو جاهليٌّ نبغَ شـاعرًا على كِبَرٍ، أدركَ الإسـلامَ ووفدَ على النّبيّ (ﷺ) وأسـلمَ، لذلك هو معـدودٌ من الصَّحابة. وتذكـرُ المصادرُ القديمـةُ أنّه عَمَّرَ طويـلًا وأدرك مطلعَ الدّولة الأُمويّة، وفي بعض الرّوايات أنّه أدرك خِلافة عبد الله بن الزُّبَيْر ومدحَه. تُنظَرُ ترجمةٌ له مُقتضبةٌ في «الأعلام »: ٥/ ٢٠٧.

ولا شـكّ في أنَّ الكرمليّ اسـتقى معلومةَ وُجُودِ نُسـخةٍ خطّيّـةٍ من هـذا الدّيوان في مدرسـة الحَجِّيّـات بالمَوْصِل، من كتـاب صديقِه الدّكتـور داود الچَلَبِـي المَوْصِليّ، الّذي فَهْـرَسَ مخطوطاتِ تلك المدرسـةِ سـنةَ ١٩٢٧م في كتابِه «مخطوطـات المَوْصِـل»، وقد ذكـرَ فيه عن هـذا الدّيوان (ص٩٩) العبـارةَ الآتيةَ: «ديـوانٌ ناقصُ الأوّلِ والآخرِ، قد كُتِبَ عليه (ديوان الجَعْديّ)». وواضحٌ أنّ في عبارة الچَلَبِي هذه شـيئًا من التَّحَفُّظ، فهو لا شـكّ قد عاينَ المخطوطةَ، ولعلّه حـاول تفحُّصَها لمعرفة مُحتواهـا، لكنّه لم يجد ما يُؤكِّد الّـذي دُوِّنَ على غلافها، فكتب عُنوانَها على عَجَلٍ كما وجده.

ولم يُجمع شِعْرُ الجَعْدِيِّ في ديوانٍ ويُطبَع إلّا في مُنتصَفِ القـرن العشرين، حين نهضتِ المُسـتشرقةُ الإيطاليّةُ ماريا نَلّينو Maria Nallino بمهمّةِ جَمْعِ ما وجدتْ من مُتفرِّقِ شِـعْره، وطبعتْـهُ في رومـا سـنةَ ١٩٥٣م مـع ترجمةٍ إلى الإيطاليّـة وتحقيقاتٍ. ثُمّ أعادَ الباحثُ والمُحقِّقُ السُّـوريُّ عبد العزيز رباح جمْعَ شِـعْره وتحقيقَـه، وصدرَ بعُنوان «ديـوان النّابغة الجَعْدِيّ » عن المكتب الإسـلاميّ بدمشـقَ سـنة ١٩٦٤م. وأعادَ جَمْعَ شـتاتِ شِعْره في ديوانٍ، أخيرًا، الباحثُ والمُحقِّقُ اللُّبنانيُّ الدّكتور واضح الصّمد، مُستدرِكًا على الطّبعتين السّـابقتين ومضيفًـا عليهما مقطوعاتٍ من شـعره فاتتهما، فصدرَ بُعنوان: «ديوان النّابغة الجَعْدِيّ» بجَمْعِـه وتحقيقِـه وشَرْحِه، عن دار صادر ببيروتَ، سـنة ١٩٩٨م.

(٩٢) سـيتّضِحُ لاحقًـا (في رسـالة الصّائغ السّـابعة) أنّ المخطوطـةَ المُفـترَضَ أنّها «ديـوانُ الجَعْـدِيّ »، إنّما هي مجموعٌ خطِّيٌّ يضمُّ ثلاثَ رسائلَ مُختلفة، ليس بينها هذا الدِّيوانُ.

دراهِمهم فلا يســتفيدون منها ولا يُفيدون العاملَ الفقيرَ. لهذا السّببِ تأخَّرتُ عن إعطاءِ الجواب، إذ كان في أملي- على ما وعدني صاحبُ الكتاب- أن أستلِمَه للتّصويرِ الشّمْسيِّ، وذاك هو الأَوْفَقُ حِفْظًا على الأصل من تلاعُبِ النّاسخ، فخابَ أملي. ولكن مــا زلتُ مُؤمِّلًا نوالَه بعد وُصُولِ والده عبد الباقي چَلَبِي، ولا أظنُّ المذكــورَ يرفضُ إعطاءه لي؛ لأنّ بيننا تعرُّف[٩٣]. وقُدُومه مُنتظَرٌ بعد يومين أم[٩٤] ثلاثة. كذا بَلَغَني.

هــذا ما لَــزِمَ عَرْضُــه. وأختِمُ بالاحتــرام مع طلبِ الاعتذار سيِّدي الأب.

ولدُكم

القَسّ سُليمان صائغ

الرّسالة الرّابعة

إدارة مجلّة النَّجْم

شارع شَمْعون الصَّفا- المَوْصِل (العراق)

AN –Nadjm

Rédaction et Administration

Rue chamoun el –Safa

Mossul (Irak)

٢٧/ ٦/ ٢٩

أيّهــا العَلَّامةُ المِفْضالُ الأبُ أنســتاسُ الكرمليُّ الجزيلُ الاحترام.

احترامًا وتحيَّةً وبعده. إنّ أَمَلي قويٌّ في الحُصُولِ علــى الكتاب (ديوان الجَعْــدِيِّ)، وتأخُّرُ الحُصُولِ عليــه ليس لأنِّــي مُهْمِله، ولكنّ الظّــروف هي[٩٥] مُعاكِسة.

عَرَضْــتُ لكــم قَبْــلًا أَنّــي مُنتظِــرٌ عبــدَ الباقي جنجون أن يعودَ من الحَجِّ، وكنتُ أُؤَمِّلُ أنّه لا يَرُدُّ لــي طَلَبًا بناءً على صداقتي معــه، إلّا أنَّ المذكورَ أثناء عودته من الحَــجِّ تُوفِّيَ في الباخرة، وأُلقِيَتْ جُثَّتُــه في البَحْرِ. وعلى إثْرِ موتِه قرأتُ في جريدة المَوْصِلِ الرّســميّةِ أنّه بنــاءً على بعضِ النّزاعِ في مســألة التَّوْلِيَةِ الوَقْفيّةِ قــد حَجَزَتِ الحكومةُ على مدرســة الحَجِّيّات وعلى غيرها، وأنا الآنَ أتشــبَّثُ مع مُديــر الوَقْفِ[٩٦] وهــو يُواعِدُنــي ويُماطِلُني. فعُذْرًا أبتي[٩٧] المُحترم، إنّي آسِــفٌ جِدًّا لمُخالفةِ الظُّــرُوفِ لي فــي تأديةِ هــذه الخدمةِ البســيطةِ لحضرتِكــم، مــع رغبتي الشّــديدةِ فــي خدمتِكم وإرضائكم.

أرجو صَبْرَكم عَلَيَّ، وسأُوافيكم بالنّتيجة حالما يتيسَّرُ لي الجواب.

وتكرَّموا بِقَبولِ فائق احترامي الصَّميميّ.

أدامَكم المَوْلى لولدِكم.

القَسّ سُليمان

الرّسالة الخامسة

إدارة مجلّة النَّجْم

شارع شَمْعون الصَّفا- المَوْصِل (العراق)

(٩٣) كذا. وصواب اللّفظة نحويًّا: «تعرُّفًا ».

(٩٤) كذا. وصوابُها: «أو».

(٩٥) كذا.

(٩٦) لعلّــه أســعد أفنــدي حســن العُمَري، وقــد تقدّم في هامش ســابق- بالمُقدّمــة- أنّه كان يشــغَلُ منصبَ مُدير أوقاف المَوْصِلِ في نهايةِ ســنةِ ١٩٢٥م، وهو شــقيقُ أرشد العُمَري (١٨٨٨- ١٩٧٨م) الّذي أصبحَ فيما بعدُ رئيسًــا للوزراء مرّتين في العهد الملكيّ. وقد وردَ في «الدّليل العراقيّ الرّســميّ لســنة ١٩٣٦»: ص١٥٥، أنّ مُديرَ شُعبةِ أوقافِ المَوْصِل في ســنة ١٩٣٦ كان السَّيِّد أحمد القاضي، ولكنْ لم يُذكَرْ تاريخُ بدءِ شَغْلِهِ هذا المنصبَ.

(٩٧) كذا. والصّواب «أبتِ ».

AN –Nadjm
Rédaction et Administration
Rue chamoun el –Safa
Mossul (Irak)

٢٤/ ٧/ ٢٩

أَبتي[٩٨] العَلّامة المِفْضال.

أُهديكم الاحترامَ وبعده. إلى الآنَ لم يتحقَّقْ أَمَلي مع مُراجعاتي الكثيرة. البارحة مساءً كُنّا مَدْعُوِّينَ في حفلةِ الشّاي المُقامةِ لشرف فخامةِ المندوبِ السّامي[٩٩]، وصادفَ جُلُوسنا قريبًا من مُدير الأَوقاف، فكلَّمتُه في الموضوع[١٠٠]، وشاركني في الطَّلَبِ سيادةُ المُطْران يُوسُف غَنِيْمة، فوعدني خيرًا لَمَّا يَتِمُّ تسليمُ الدُّوْرِ ورَفْعُ الحَجْزِ[١٠١].

واليومَ صباحًا ذهبتُ عند الشّيخ إبراهيم الرُّوْميّ[١٠٢]–رجلٍ وقورٍ ومحبوبٍ- ورجوتُه أن يُكلِّمَ داود أفندي[١٠٣] الوَضْحة[١٠٤] المُدرِّسَ في

(٩٨) كذا. والصّواب «أبتِ».

(٩٩) سبقتِ الإشارةُ في المُقدّمة إلى أنّه جلبرت كلايتون، الّذي تُوفِّيَ بالسّكتةِ القلبيّةِ في بغدادَ مساءَ يومِ الأَربعاء ١١ أيْلُوْل/ سبتمبر ١٩٢٩م، أي بعد أقلّ من شهرين على زيارتِه هذه للمَوْصِلِ.

(١٠٠) يُريدُ به موضوعَ «ديوان الجَعْدِيِّ».

(١٠١) يُريدُ به رفعَ الحَجْزِ عن مدرسةِ الحَجِّيّات وخِزانةِ مخطوطاتِها المُشار إليه في رسالته الرّابعة.

(١٠٢) الشّيخ إبراهيم الرُّوميّ: مُتصوِّفٌ صاحبُ صلاحٍ ظاهِرٍ، انفرد بأنّه كان الوحيد من بين مُتصوِّفة المَوْصِلِ على الطّريقة الشّاذِلِيّة، وكانت له تَكْيَةٌ على هذه الطّريقةِ في دارٍ ببابِ البيضِ فوق السُّوْر بالمَوْصِل القديمة. تُوفِّيَ سنة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٦م، عن عُمرٍ ناهزَ ٨٢ عامًا، ودُفِن في مقابرِ باب البيض، وبُنِيتْ على قبره قُبّةٌ مخروطيّةٌ مُرتفعةٌ. ولا تزالُ تَكْيَتُه قائمةً يتولّى أعقابُه إدارتها، وقد وُقِفَ عليها أوقافٌ كثيرةٌ. وممّا يُؤثَرُ عن الشّيخ الرّوميّ قولُه: «المُرِيْدُ الكاذِبُ لا ينتفِعُ من الشّيخ الصّادق، أمّا المُرِيْدُ الصّادقُ فينتفِعُ من الشّيخ الكاذِب». وكان من أصحاب الشّيخ مُحمّد الرَّضْوانيّ (المُتوفَّ سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م) الذّي قال فيه علّامة المَوْصِل سعيد الدّيوه جي: «كان شيخَ الحَدْباءِ عِلْمًا وزُهْدًا وكرمَ أخلاقٍ، ينقادُ إليه النّاسُ على اختلافِ طبقاتِهم، يأخذون عنه، ويحتكمون إليه، ويطلبون منه البَرَكة، درسَ عليه كثيرٌ من أهل المَوْصِل». يُنظر: «الرَّضْوانيُّ ومُوْجَزٌ لترجمةِ شيخِه البريفْكاني، ولمحاتٌ عن أُسَرِ المَوْصِل العِلميّة والدِّينيّة وأبرز الأعيانِ»، محفوظ العبّاسيّ: ص١٢، ٢٩١- ٢٩٢، و «التّكايا في المَوْصِلِ مُنذ أَواخرِ العَهْدِ العُثمانيّ وحتّى سنة ١٩١٨»، عُروبة جميل محمود، مجلّة (دراسات مَوْصِليّة) الصّادرة عن جامعة المَوْصِل، العدد ٢٠، الصّادر سنة ٢٠٠٨م: ص٤٥، ٥٣ (الهامش ٤٢ فيها)، ويُنظَر أيضًا «التَّكايا في المَوْصِل (٥)»، جاسم شلّال، منشور في (مُنتدَى الحياة المَوْصِليّة) على الشّابكة العالميّة:
topic-ahlamontada.net/t٤٩١.https://rakan٢

(١٠٣) عادةً ما تُكتَبُ هذه اللّفظةُ على نَحْوٍ مُختصرٍ في أدبيّات ذلك الزّمان.

(١٠٤) داود أفندي بن أحمد الوَضْحَة (المُتوفَّ سنة ١٣٥٥هـ- ١٩٣٦م): ذكرَ الدّكتور داود الجَلَبي أنّه شاهده يُدرِّسُ في مدرسة الحَجّيّات بالمَوْصِل سنة ١٩٢٧م وعنده طالبٌ واحدٌ فقط، كما ذَكَرَ أَنَّه كان يُدرِّس أيضًا في المدرسة المُحمّديّة في جامع الزّيواني (جامع باب البيض) المُجاورِ لمدرسة الحَجِّيّات، وعنده فيها أيضًا طالبٌ واحدٌ فقط. يُنظَر كتابُه «مخطوطات المَوْصِل»: ص٩٩، ١٧١. وأفاد أحمد مُحمَّد المُختار في كتابه «تاريخ عُلماء المَوْصِل»: ٢/ ١٩، أَنَّ الشّيخَ الوَضْحةَ كان خطيبَ جامِعِ الشّيخ مُحمّد الزّيواني. وذكر قُصي حُسين آل فَرَج في كتابه «المكتبات العامّة المَوْصِليّة مُنذ القرن الثّامنَ عشرَ وحتّى القرن العشرين»: ص٣٨، أنّ الوضْحةَ تولّى أمانة مكتبة المدرسة المُحمَّديّة هو والشّيخ عبد الله أفندي النّعمة (المُتوفَّ سنة ١٩٥٠م)، مُخالِفًا بذلك ما كان أورده الجَلَبِي في «مخطوطات المَوْصِل»: ص١٧١، من أنّ الشّيخ عبد الله أفندي النِّعْمة هو وحده حافظ الكُتُبِ في تلك المدرسةِ ومُرتِّبها أحسن ترتيبٍ. وفي ضوء ما تقدَّمَ

مدرسة الحَجِّيّات، عسى أن يحصلَ عليه[١٠٥] حالًا بعد رفْعِ الحَجْزِ، الّذي سيكونُ بعد أيّامٍ قليلةٍ كما ذَكَرَ لي مُديرُ الأوقاف.

أُبْدِي أَسَفي لحُصُولِ هذه الصُّعُوبةِ في خدمتي لحضرتكم، تلك الخدمة الّتي أتشرَّفُ بها الآنَ ودائما.

هل يُمكنُكم أن تدلُّوني على ترجمةٍ كاملةٍ ليَحْيى بن ماري صاحبِ المقامات المسيحيّة؟[١٠٦] فإنّي لم أَجِدْ له ترجمةً خُصوصيّةً[١٠٧]، ولم أعرِفْ مُؤلِّفينَ كثيرينَ ذكروا هذا الكاتبَ المسيحيَّ

من إشاراتٍ للدّكتور الجَلَبِي، أظنّ أنّه كان مُنقبِضًا من الشّيخِ الوَضْحةَ لموقفٍ ما جرى بينهما. وقال سالم عبد الرَّزّاق أحمد في «فِهْرِس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامّة في المَوْصِل »: ٧/ ٢٢٣، ٣٦٥، إنّ داودَ الوَضْحةَ تخرّج على الشّيخ عبد الوهّاب الجَواديّ (المُتوفَّ سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م) وأنّه درَّسَ أيضًا في مدرسة الحاجّ زكر الوَقفيَّةِ في المَوْصِل، وتُوفِّيَ سنة ١٣٥٥هـ- ١٩٣٦م. ومن تلامذتِه في هذه المدرسةِ الشّيخُ عُمر بشير جرجيس النِّعْمة كما يذكرُ جاسم عبد شلّال في كتابه «الشّيخ أحمد مُحمّد طيّب السّليفاني: حياته، أُسرته، شيوخه وآثاره »: ص٦٣.

(١٠٥) أي يحصل على «ديوان الجَعْدِيِّ ».

(١٠٦) تقدّمتِ الإشارةُ- في هامشٍ سابقٍ بالمُقدّمة- إلى أنّ الدّكتور داود الجَلَبِي المَوْصِليّ كان أوّلَ مَن كشفَ النِّقابَ عن وُجُودِ نُسخةٍ خطّيّةٍ من هذه المقامات في خِزانةِ كُتُبِ الصّائغِ الخَطِّيّةِ في كتابِه عن مخطوطات المَوْصِلِ الصّادرِ سنة ١٩٢٧م، ثُمّ ذَكَرَ الباحثُ يُوسُف يعقوب مَسْكوني ذلك أيضًا في ختام مقالته الموسومةِ بـ «مجهولٌ من أصحاب المقامات »، المنشورةِ في مجلّة (الأديب) البيروتيّة، العدد ١٢ من السّنة الرّابعة، الصّادر في ١ كانُونَ الأوّلِ/ ديسمبر ١٩٤٥م: ص٢٥- ٢٧. وقد وصفَ د.بُطْرُس حدّاد هذه النُّسْخةَ الخطّيّةَ في «فِهْرِست مخطوطات المُطْران سُليمانَ الصّائغِ وأخيه موسى الصّائغ»، المنشور في مجلّة (المورد) البغداديّة، ١٩٨٣م: ص١٤١. وذكرَ أنّها تقع في ٢٥٧ ورقة، مُشيرًا إلى وُجُود نُسْخةٍ ثانيةٍ حديثةِ العَهْد منها في تلك الخِزانة. وقال إنّ الصّائغَ كتبَ مقالةً عن المقامات المسيحيّة في المُجلّد الرّابع من مجلّته (النّجم) سنةَ ١٩٣١م: ص٢٨- ٣٠.

(١٠٧) أجاب الكرمليُّ إجابةً مُطوّلةً عن سُؤالٍ مُشابِهٍ لهذا وردَ مجلّةَ (لُغة العرب) من قارئٍ بالبصرةِ رُمِزَ له بالحرفين (م . ع)، وذلك في فِقْرةٍ بعُنوان «ابن ماري أبو العبّاس » نُشِرتْ في الجُزء السّادس من السّنة الثّامنة، الصّادر في الأوّل من شهرِ حَزِيْران/ يونيو ١٩٣٠م، ضمن باب (أسئلة وأجوبة): ص٤٥٦- ٤٥٩. واستفاض الكرمليُّ في ترجمة صاحب «المقامات المسيحيّة» نقلًا عن ابن القِفْطيِّ وابن العِبْريِّ وياقوت الحَمَويِّ وحاجي خليفة، فضلًا عن محمود شُكري الآلوسيّ.

وممّا يحسن ذِكْره هُنا، ما كشفَه الدّكتور مُصطفى جَواد- الّذي كان في شبابِه من بين أبرزِ مُساعدي الكرمليّ في تحرير مجلّتِه (لُغة العرب)- في كتابه «المباحث اللُّغويّة في العراق ومُشكلة العربيّة العصريّة»: (الهامش ٣ بالصّفحة ٧١ من طبعة الكتاب الثّانية الصّادرةِ ببغدادَ سنةَ ١٩٦٥م عن المجمع العلميِّ العراقيِّ) من أنّ الكرمليَّ كان يلجأُ أحيانًا إلى وضع أسئلةٍ على لسانِ بعضِ النّاسِ ممّا يعتقِدُ أنّه مُفيدٌ لعامّةِ القُرّاء، ثُمّ يُجيبُ عليه. فلعلّه اختارَ أن يضعَ حَرْفَيْ هذا القارئِ الافتراضيِّ من البصرةِ على السُّؤالِ الّذي كانَ ورده من الأبِ الصّائغِ- قبل نحْوِ عشرةِ شُهُورٍ- لنشْرِ إجابتِه عليه تعميمًا للفائدة. وعلى هذا يُحتمَلُ أنّ هذه الفِقْرةَ عن ابن ماري المنشورةَ في (لُغة العرب) هي ما كان أجابَ به الصّائغَ ردًّا على سُؤاله.

المُجيْدَ[١٠٨].

أختِمُ بتقديـم وافرِ الاحترام. لا زِلتـم بُؤرةَ الأدبِ

(١٠٨) كان الأبُ أنستاسُ الكرمليُّ أوّلَ مَن عرَّفَ بصاحب هـذه المقامات، وحقّـق إحداها في العـصر الحديث، وذلك في مقالتِه الرّائدةِ الموسـومةِ بـ «المقامـات النَّصْرانيّة لابن ماري »، المنشـورةِ في مجلّة (المشرق) البيروتيّة: العدد ١٣ من السّـنة الثّالثـة، الصّادر في ١ تَمُّـوْز/ يوليو ١٩٠٠م: ص٥٩١- ٥٩٨. وكتـبَ مُحرِّرُ المجلّةِ الأبُ لويس شـيخو اليسـوعيُّ تحـت العُنـوانِ هذه العبـارةَ: «نُبْـذةٌ اقتطفَها وذيَّلَها بِشُرُوحٍ حضرةُ الأبِ أنسـتاسَ الكرمليِّ ». واسـتهلَّ الكرمليُّ مقالتَـه بِفِقْرةٍ تقديميّةٍ ذاتِ قيمةٍ تاريخيّةٍ كبيرةٍ، ولا تـزالُ تحتفظُ بأهمّيّتِها برغم مُـرُور قرنٍ ورُبعِ القرنِ على نشْرِها، جعلهـا بعُنوان «التّعريف بالكتاب وبمُؤلِّفِه»، وقال فيها، كاشِـفًا عن مصدرِ النُّسـخةِ الخطّيّةِ البغداديّةِ النّـادرةِ مـن هذا الكتـاب، وجُهْـده في قراءتِهـا، ومُؤازرةِ كِبـارِ عُلماء الأُسرةِ الآلوسـيّةِ له في ذلك: «لابن ماري كتابُ مقامـاتٍ مُترجمَـةٍ بالمقامات المسـيحيّة. وهـذا الكِتابُ لا يُوجَدُ منه اليومَ- على ما حقّقناهُ- إلّا نسـخةٌ واحدةٌ، وذلك في خِزانـةِ كُتُبِ جامعِ الحَيْدَرْخانة في بغدادَ. وهي نُسْـخةٌ قديمـةٌ كان قد أهداها إلى هذا الجامِـعِ: النّصرانيُّ الوجيهُ المرحـومُ فتـح الله عَبُّـود في ٨ ربيع الثّاني سـنة ١٣٠١ه (١٨٨٣م)، حينمـا كان عُضْـوًا في مجلـس الإدارة. وكان العُلماءُ يومئذٍ قد اجتمعوا طَلَبًا لإنشاء خِزانةِ كُتُبٍ عُمُوميّةٍ تكونُ في الجامعِ المذكورِ لاستشـارتِها عند الحاجة. وكانوا قـد طلبوا من أعيانِ الزَّوْراءِ أن يُتْحِفوا المكتبةَ الجديدةَ بما لديهم من التّآليفِ المُفيدةِ، فكان من جُمْلةِ ما تبرّع به فتح الله أفندي هذا الكتابُ النّفيسُ. وهو قديمُ الكتابة من عَهْدِ مُؤلِّفِه. وخَطُّ السِّفْرِ، وإن كان جليًّا، فإنَّ أغلبَه غيرُ منقوطٍ كمـا كان يفعله الخطّاطـون بادئ بِـدْء. وزِدْ على ذلك أنّ هـذا الكتابَ قد وقعَ في الماء حتّى أنّـه تتعسَّرُ قراءةُ بعضِ ألفاظِـه، غير أنّني اسـتعنتُ في الأماكن المُبْهَمـةِ العويصةِ بالشّـيخ الإمام المشـهور محمود شُـكْري أفندي الآلوسيّ، فَحَلَّ مُعضلاتِه وفَكَّ طلاسِـمَ مُعقّداتِـه، وبذاك زالَ جانبٌ عظيمٌ من مُشـكلاتِه ومُبْهَماتِـه. ولا ينقصُ هـذا الكتابَ إلّا ورقـةٌ واحدةٌ هي عبارةٌ عن نِصْـفِ المُقدّمة. أمّا كيفيّةُ البُلُوغِ إلى الحُصُول على مُستهلِّها، فإنّ فقيدَ العلمِ واللُّغةِ، نُعمان أفندي الآلوسيَّ، كان قد عَثَرَ في أثناءِ تجوُّلِه في البلاد على المُقدّمة كُلِّها، وبعد المُقابلةِ وجدَها تُطابِقُ بقيّةَ مُقدّمةِ الكتـابِ الموجـودِ في بغدادَ، مع زيـاداتٍ في المُقدّمةِ الّتي في يديه. ولَمّا كان قد عَلِمَ بأنّني قد عنيتُ بنسْـخِ هذا الكتابِ، دفعَ إليّ تلـك المُقدّمةِ لكي يَكْمُلَ بذلك كتابُ المقاماتِ الّذي يـدور الكلامُ عليـه». ثُمّ إنَّ الكرمليّ نَـشَرَ بعد هذا الكلامِ، مُقدّمةَ المُؤلِّفِ مُحقَّقةً هـي والمقامة الأُولى الرُّهاويّة. ولقد أحصيتُ هوامشَه وتعليقاتِه على النصِّ فوجدتُ أنّها بلغتْ ٨٩ هامشًا وتعليقًا.

وهذا الأثرُ العراقيُّ في فنِّ المَقاماتِ نُشِرَتْ منه نُتَفٌ قديمًا وحديثًـا، وحـاولَ أعلامٌ كبارٌ في العـراق تحقيقَه في القرن الماضي، كالشّـيخ محمود شُـكْري الآلوسيِّ الّذي كان عزمَ عـلى نشْرِ هذه المقامات فكتـب لها مُقدّمةً، غير أنّ عملَه لم يرَ النُّوْر، وتلميذه الشّـيخِ مُحمَّد بهجـة الأَثَريِّ الّذي كتبَ نُصُوصَ المقاماتِ السِّـتين بخطِّه الجميلِ وعليها حواشيه وتعليقاتـه، وكان يُزمِعُ نَشْرَها في كتابٍ كما ذكرَ يُوسُـف يعقوب مَسْكوني في مقالتِه بمجلّة (الأديب) سنةَ ١٩٤٥م، وقال إنّه اطّلعَ عليه، غير أنَّ الأمر لم يتمَّ من أسـفٍ. وورد ذِكْـرُ هذه النُّسـخة الخطِّيّة في جُملةِ ما تركـه الأثريُّ من مخطوطـاتٍ غيرِ منشـورة. يُنظَر «مُحمّد بهجـة الأَثَريُّ، كتـاب المجمـعِ العلميِّ العراقـيِّ في تكريمـه »: ص٤٢٩. وأخـيرًا تـولَّى تحقيقَ المقامـاتِ السِّـتّينَ كُلِّها ودراسـتَها الدّكتـور عدنان كريـم رجب المفرجي، التَّدريـسيُّ في كُلِّيّة الآداب بالجامعة المُسـتنصريّة، وصـدرتْ في كتابٍ ببيروتَ عـن الـدّار العربيّـة للموسـوعات سـنة ٢٠١٩م، بعُنوان «مقامـات ابن ماري ليحيى بن سـعيد البَصْريّ، نسـبه- حياته- مكانته (ت٥٨٩هـ/١١٩٣م)».

وقِبْلَةَ العِلْم.

ودُمتم لولدِكم:

القَسّ سُليمان صائغ

ادارة مجلة النجم
شارع شمون العنا الموصل (العراق)
AN - Nadjm
Rédaction et Administration
Rue chamoun el - Safa
Mossul (Irak)

صورةٌ لأصلِ الرّسالةِ الخامسةِ المُؤرَّخةِ في ٢٤ تَمُّوْز/ يوليو ١٩٢٩م.

الرّسالة السّادسة

سيّدي الأَب الأُستاذ.

مع حاملِه أُرسِلُ العددَ الثّالثَ من (النَّجْم)[١٠٩]، وفي صحيفة ١٥٢ تجدونَ ذِكْرَ رسالةِ اليزيديّة لعبد الرَّزّاق أفندي الحَسَنيِّ[١١٠]، وهو الكتابُ الوحيدُ الّذي وصلني من حَضْرَتِه.

(١٠٩) يبدو أنّ الصّائغَ كان ببغدادَ حين وجَّهَ هذه الرّسالةَ، فمن غيرِ المُرجَّحِ أن يبعثَ بعددٍ من مجلّتِه بيدِ رسولٍ منه إلى الكرمليِّ ويطلبُ منه إعادتَه إليه- كما سيردُ في ختامِها- وهو بالمَوْصِلِ، والأعدادُ عنده وافرةٌ هناك.

(١١٠) كان أوّلُ ما نَشَره المُؤرِّخُ عبدُ الرَّزّاق الحَسَنيُّ (١٩٠٣– ١٩٩٧م) عن الدِّيانةِ الإيزيديّةِ في العراق، نُبذةً طُبِعَتْ ببغدادَ مطلعَ سنةِ ١٩٢٩م بعُنوان «اليزيديّة أو عَبَدَة الشَّيْطان»، أشارَ إليها الأبُ أنستاسُ الكرمليُّ في باب (المُشارفة والانتقاد) بمجلّتِه (لُغة العرب)، الجُزء الثّالث من السّنة السّابعة، الصّادر في شهر آذار/ مارس ١٩٢٩م: ص٢٦٧، بقوله: «نُبْذة للسَّيِّد عبد الرَّزّاق الحَسَنيِّ، نشرتْها مجلّةُ (المُرْشِد) المذكورة، فوقعت في ٤٤ص بِقَطْع ٣٢، وهي من هدايا مجلّة المُرْشِد البغداديّة، ولا تخلو من فائدة». ثُمّ إنّ الحَسَنيَّ أعادَ نشرَها في العامِ نفسِه بُعنوان «اليزيديّة أو عَبَدَة الشَّيْطان في العراق»، في مطبعة العِرفان بمدينة صَيْدا اللُّبنانيّة، وتلاحقت من بعد ذلك طبعاتُ هذا الكُتيِّب، مع إجراءِ تعديلات وإضافات على مُحتواه وعُنوانه، حتّى استقرّ أخيرًا على هذا العُنوان «اليزيديّونَ في حاضرِهم وماضيهم»، وكتبَ تحت عُنوان طبعتِه الصّادرةِ سنةَ ١٩٥١م (مطبعة العِرفان، صَيْدا) تعريفًا بكتابه، هذا نَصُّه: «تبحثُ هذه الرِّسالةُ في (مَنْشأ الطّائفة اليزيديّة)، وتتكلّم عن [كذا] مُعتقداتِها الدّينيّة، وعن الشّيخ عَدِيِّ بن مُسافِر الّذي تنتمي إليه، وعن مرقده وصِفةِ هذا المرقد، وتضمُّ بين دفّتيها نُصُوصَ كُتُبِها المُقَدَّسةِ لديها، وتصفُ شرائعَها الطَّقْسيّةَ وسُننَها الاجتماعيّةَ وأعيادَها الرّسميّةَ.. إلخ». وتختلفُ آراءُ الباحثين في بيان القيمةِ العلميّةِ لهذا الكتاب، وسِواهُ من كُتُبِ الحَسَنيِّ الّتي تناولتِ الأديانَ في العراق، وفي مدى ما تحتويه من معلوماتٍ دقيقةٍ عن حقيقةِ مُعتقدات هذه الأديان ومُنتحليها، ومدى توفيقِه في الكشْفِ عنها، لكنّ ما يُحسَبُ له أنّ أعمالَه هذه زاوجتْ ما بين الرّحلةِ الميدانيّةِ والمُشاهدةِ العِيانيّة، والوَصْفِ الحيِّ للمعابد والطُّقُوس، ومُشافهةِ كبار رجال الدّين في هذه الأديان ونقْلِ كلامِهم وكلامِ كُتُبِهم المُقدّسة، مع الاستفادةِ ممّا وقفَ عليه من المصادرِ والمراجعِ الّتي تناولت هذه الأديانَ وأوضاعَ مُنتحليها قديمًا وحديثًا، كما يُحسَبُ له أنّه ظلَّ يُحَسِّنُ ويُجوِّدُ في كُتُبِه هذه- الّتي حظيتْ بكثيرٍ من الرَّواج- في طبعاتٍ مُتلاحِقةٍ.

واقبلوا مزيدَ احترامي سيّدي.
١/ ١١ /٢٩

القَسّ سُليمان

صح[١١١]: أرجــو أن تُخْبِروا حَضْرَتَــه بذلك[١١٢]، وأعيدوا العددَ مع حاملِه لأنّه ليس لي.

الرّسالة السّابعة

٣١/ ٥/ ٣٠

سيّدي الأب الفاضل.

احترامًــا وبعده. تناولــتُ كتابَكم من يدِ الأُســتاذ جوزيه فُرْلاني[١١٣]. أشــكرُكم على فُرصةِ تعرُّفي

(١١١) يبــدو أنَّ الصّائغَ قَلَّدَ الكرمليَّ هُنا باســتخدامِ هذا الرّمزِ، فقد اعتادَ الكرمليُّ- في كثيرٍ من رسائله الّتي اطّلعتُ عليها مخطوطةً أو منشورةً- استخدامَه مُنذ مطلعِ القرنِ الماضي، للدلالةِ على إلْحاقِ مُسْــتَدْرَكٍ خَطَرَ ببالِه بعد إتمام الرّســالةِ وتوقيعهــا، فيُذيّلها بــه، واضِعًا الرّمــزَ هذا قبل مُســتدرَكِه. وأعتقدُ أنّه قد اقتبس علامــةَ اللَّحَقِ (صحَّ) في تقاليدِ نَسْــخِ المخطوطات، الّتي يضعها النَّاسِــخُ في ختامِ لفظةٍ أو جُملةٍ يُدوِّنُها في حاشــيةِ المخطوط، كان سَها عن كتابتِها في مَتْنِه، وذلك بعد مُقابلةِ نُسْخته على الأصل.

(١١٢) كان عبدُ الرّزّاق الحســنيُّ ســألَ الكرمــليَّ عمّا إذا كانت مجلّة (النَّجْم) قد نَشَرَتْ نقدَها رسالتَه عن اليزيديّة، وذلك في رســالةٍ خطّيّةٍ غيرِ منشورةٍ من قبل، مُؤرّخةٍ في ١ آب/ أغســطس ١٩٢٩م (ولديّ صــورةٌ منها)، وقال فيها الحَسَنِيُّ: «أرجو أن تُعَرِّفوني عمّا إذا كانت مجلّةُ (النَّجْم) قــد نَقَدَتْ رســالتي عن اليزيديّةِ في جُزئهــا الخامسِ أو في غيره، كما طلبتُ إليها ذلك وأوعدتني خيرًا».

(١١٣) مُســتشرِقٌ إيطــاليٌّ (١٨٨٥- ١٩٦٣م)، تخرّج في جامعات فيينا وروما، وعُيِّن أُســتاذًا أو مُحاضِرًا في اللُّغاتِ السّاميّة، وتاريخِ الشّرقِ الأوســطِ القديم، والآثارِ الشّرقيّةِ والآشــوريّةِ بجامعــات: تُوْرِنْتــو وفلوْرَنْســا وروما. كان مُهتمًّــا بنشْرِ النُّصُــوصِ السُّرْيانيّةِ ودراســتِها، فضلًا عن اختصاصِه بحضاراتِ الــشّرقِ ومن بينها حضارةُ العراقِ القديم. تُنظَــر ترجمتُه وقائمةُ أعمالِه في «مُعْجَم أســامي المُســتشرِقين»، إعداد: د. يَحْيى مُــراد: ص٥٢٣. وقد وردَ اسمُه في المُعْجَم بصيغة (فورلاني جيوزيبي). وممّا يُؤخَذُ عــلى مُعِدِّ هــذا المُعْجَمِ أنّه لم يُميِّزْ بــين الدِّيانةِ اليزيديّةِ في شــماليِّ العراق وبين المذهبِ الزَّيْديِّ الإســلاميِّ في شــماليِّ اليَمَن، فكُلُّ عُنوانٍ لهذا المُســتشرِقِ فيــه لفظةُ (اليزيديّة) جعلَها مُعِدُّ المُعْجَم (الزَّيْديّة).

وليتَ المُؤسَّســاتِ الثّقافيّةَ في البــلاد، المعنيّة بالتّرجمة، تعهَدُ إلى مُترجمينَ مُختصّينَ أكْفاءٍ ومشــهودٍ لهم بالخبرة، بترجمــةِ أهــمِّ ما أنتجه هذا المُســتشرِقُ الإيطــاليُّ من كُتُبٍ وبُحُوثٍ عن العراق. وكان الأبُ أنســتاسُ الكرمليُّ قد أثنى على أمانتِه وأشــادَ بعِلْمِه في أثناء عرْضِ كتابِه «النُّصُوص الدِّينيّة اليزيديّــة» الصّادرِ باللُّغة الإيطاليّة، وذلك في فِقْرةٍ عُنوانُها: «النُّصُوصُ الدّينيّةُ اليزيديّةُ ونقْلُها إلى الإيطاليّة، مــع مُقدّمةٍ وحــواشٍ بِقَلَمِ جوزيه فُرْلانــي» نُشِرَتْ ضمن بــاب (المُشــارفة والانتقاد) بمجلّــة (لُغة العــرب)، الجُزء الثّالــث مــن السّــنة التّاســعة، الصّــادر في آذار/ مــارس ١٩٣١م: ص٢٣٠. وقــال في مُســتهلِّها: «في ســنة ١٨٩٩ نشرْنــا في (المشرق) في ســنتِها الثّانية، مقالةً أَسْــهَبْنا فيها في اليزيديّــةِ، ثُــمّ نَشَرْنا بعد قليــلٍ في مجلّة الإنثروبوس ما يزيدُ تلك الأنباءَ حقيقةً ويُعزِّزُها تعزيزًا، مع نَشْرِ الكتابين الدّينيَّــيْنِ (مُصْحَف رَش) و(الجَلْوَة)، فتناقلَ تلك الإفاداتِ كثيرٌ من الكَتَبةِ من شرقيِّينَ وغربيِّينَ، فمِنهم مَن نَسَــبَه إلى نفسِــه، ومِنهم مَن ذَكَرَ مُسْــتَنَده بعضَ الذِّكْرِ، ومِنهم مَن سرقَها سَرِقةً فاضِحةً بعد أن شــوه مــا فيها. واليومَ ينشرُ حضرةُ المُســتشرِقِ الإيطاليِّ جوزيه فُرْلانــي، بلُغتِه الطَّلِيّة، تلــك النُّصُوصَ مــع إفــاداتٍ وتعليقاتٍ ومُقدّمــةٍ أظهرتْ مقدرةَ العلّامةِ المُســتشرِقِ ووُقُوفَه الرّائعَ على تلك الفِرْقةِ. واستشــهدَ جماعةً كثيفةً من المُؤلِّفــين الّذي [كذا] عالجوا هذا الموضوعَ، ولا سيما ما أثبتناهُ، فجاء تأليفُه من أحسنِ ما يُقتَنى في هذا البحث».

بهذا الرّجلِ الفاضِل.

بعد الجُهْدِ حصلتُ على ما يُسمَّى بكتاب[١١٤] أو بديوان الجَعْدِيِّ، وبعد الاطّلاعِ عليه ظهرَ أنّ في هذه النُّسْخةِ ثلاثةَ كُتُبٍ تختلفُ موضوعًا ومُؤلِّفًا وخَطًّا[١١٥]: الأوّلُ يحتوي على نحْوِ عَشْرِ صحائفَ ناقصةٍ من أوّلِها، وفيها بعضُ القصائدِ ومعها شُرُوحُها، والثّاني قصائدَ من شكْلِ البَدَيْعِيّات في المدائح النَّبويّة، والثّالثُ مواعظَ وأغانيَ أو أناشيدَ لأيّامِ رمضان. وليس هناك ما يدلُّ على أنّ الكتابَ هو ديوانُ الجَعْدِيِّ سوى ورقةٍ صغيرةٍ أُلْصِقَتْ حديثًا على جِلْدِ الكتاب (النُّسْخة) وعليها مكتوبٌ: «ديوان الجَعْدِيِّ». واطَّلَعَ الأُستاذُ[١١٦] عليه، وطلبَ منّي أن استنسِخَ لصديقِه الصَّحائفَ الأُولى وأُرسلَها له. أمّا هو فقد سافرَ اليومَ عن طريقِ نَصِيْبِيْنَ[١١٧] إلى بلاده.

ثُمّ تشرَّفتُ بكتابِكم الثّاني، وفيه تطلبونَ نُسختينِ من جدولِ مكتبةِ سِعِرْت للمخطوطات[١١٨]، المطبوعِ عند الآباءِ الدّومنيكيّين[١١٩]. لقد بحثتُ وفتَّشتُ في مكتبةِ الآباءِ فلم أجدْ من الجدول

(١١٤) الصّوابُ حَذْفُ الباء، وحَذْفُها كذلك من: «بديوان».

(١١٥) يُطلَقُ على المخطوطةِ، في مثلِ هذه الحالة، اسمَ «مَجْمُوْع»، أي أنّها تضمُّ رسائلَ أو كُتيِّباتٍ، لا كتابًا واحدًا.

(١١٦) يُريد به: المُستشرِق جوزيه فُرْلاني.

(١١٧) نَصِيْبِيْن: مدينةٌ تاريخيّةٌ تقعُ الآنَ في ولاية ماردِيْنَ جنوبَ شرقيّ تُركيا، وصفَها ياقوت الحَمَويُّ في «مُعْجَم البُلدان» (طبعة دار صادر): ٥/ ٢٨٨، بأنّها كانت مدينةً عامِرةً من بلادِ الجزيرةِ على جادَّةِ القوافلِ من المَوْصِلِ إلى الشّام.

(١١٨) هو كتاب «فِهْرِست مخطوطات مكتبة سِعِرْت»، صدرَ بالفرنسيّة سنةَ ١٩٠٥م ضمن مطبوعات مطبعة الدّومنيكان الحديثة، الّتي تأسَّست في مدينة المَوْصِل بين سنة ١٨٦٠ و١٨٦١م، وضعَه الباحثُ العراقيُّ المُطرانُ أَدّي شِير(١٨٦٧- ١٩١٥م)، الّذي كان رئيسَ أساقفة الكِلْدان الكاثوليك في سِعِرْت (أو سِعِرْد، وهي بَلْدةٌ تقعُ في جنوب شرقيِّ تُركيا، اتُّخِذَتْ عاصمةً للولايةِ المُسمّاةِ باسمِها) وقُتِل في إحدى قُراها سنة ١٩١٥م. يُنظَر: «تاريخ الطِّباعة العراقيّة مُنذ نُشُوئها وحتّى الحرب العُظْمى الأُولى» القسم الثّاني، بَهْنام فَضيل عَفّاص، مجلّة (المورد) البغداديّة، العدد الثّاني من المُجلّد ١٢، الصّادر صيفَ سنةِ ١٩٨٣م: ص٢٥، ٣٧. ويقول الباحثُ عَفّاص (ص٣٧): «ورُبّما كان هذا الفِهْرِستُ أوّلَ دراسةٍ في عِلْم الببلوغرافيا والفهْرسة تُنْشَرُ وتُطْبَعُ في العراق. والجدير بالذِّكْرِ أنّ أَدّي شِير قد نظَّمَ عِدّةَ فهارسَ لمكتباتٍ مُهمّةٍ ذكرَ فيها أهمَّ مخطوطاتِها، ونشرَها بالفرنسيّة، وقد طُبِعت خارج العراق». وتُنظَر ترجمة أَدّي شِير في: «الأعلام»: ١/ ٢٨٥، و «أعلام الأدب في العراق الحديث »: ١/ ٢٦٦- ٢٦٧، و «التّاريخ والمُؤرِّخون العراقيّون في العَهْد العُثْمانيّ»: ص٣٧٠- ٣٧٣.

(١١٩) حركةٌ رُهبانيّةٌ تبشيريّةٌ نشأتْ في القرنِ الثّالثَ عشرَ للميلاد، نشطتْ في مدينة المَوْصِل مُنذ سنة ١٧٥٠م، حينَ بعثتْ بطلائعِ إرساليّةٍ من الرُّهْبانِ الإيطاليّينَ ثُمّ من الفرنسيّينَ، اهتمّوا- فضلًا عن واجباتِهم الدّينيّة- بنشْرِ التّعليم وإنشاء المدارس والمطابع وإصدار الكُتُب والمجلّات، وكان لهم دَوْرٌ مُؤثِّرٌ في تطوير الحركة الثّقافيّة بالمَوْصِلِ، وبَنَوا فيها كنيسةَ اللّاتينِ المعروفةَ بكنيسةِ السّاعة، بينَ سنةِ ١٨٦٦ و١٨٧٣م، وهي أكبرُ كنائسِ المَوْصِلِ، اشتُهرت بساعتِها المُشيّدةِ على بُرْجٍ ضَخْمٍ، الّتي أهدتْها إلى الكنيسةِ زوجةُ إمبراطور فرنسا نابليون الثّالث، فصارت مركزًا للآباء الدّومنيكان في المدينة. وقد نَسَفَ مُسوخُ ما يُعرف بتنظيم داعش الإرهابيّ هذه الكنيسةَ سنة ٢٠١٤م، كما فعلوا بمُعظمِ معالِمِ المدينةِ. وتولّت مُنظّمة اليونسكو الإشرافَ على إعادةِ إعمارها. يُنظَر بشأن تاريخ وُجُود الآباء الدّومنيكان بالمَوْصِل وأدوارهم: كتابُ المُؤرِّخِ المَوْصِليِّ بَهْنام سليم حَبّابة: «الآباء الدّومنكان في المَوْصِل، أخبارهم وخدماتهم ١٧٥٠– ٢٠٠٥ ». وقد ذكرَ في تنبيهٍ له بمُستهلِّ كتابِه أنّه اختارَ أن يكتبَ اسمَ هؤلاء الآباء بهذه الصّيغة «الدّومنكان ».

المذكـور. والظّاهِـرُ أنّ الطّبْعَةَ نافِـذةٌ[١٢٠]. وقد سَبَقْتُ في العام الماضي ففتَّشْتُ عنه هُنا وهُناك فلـم أهتدِ إليه، وذلك حينمـا نَظَّمْتُ مكتبةَ القِلَّايةِ البطريركيّةِ.

إنّي أتأسَّـفُ شـديدَ الأَسـفِ لحُبُوطِ مسعايَ في خدمتِكم، فأرجو عُذْري وقَبولَ مَزيْدَ الاحترام.

من المُخلص

القَسّ سُليمان صائغ

الرّسالة الثّامنة

إدارة مجلّة النَّجْم

AL – Nadjm

Rédaction et Administration

شارع شَمْعون الصَّفا

المَوْصِل- (العراق)

Rue chamoun – el –Safa

Mossul (Irak)

تاريخ: ٣١/١٢/١٣

حضرة الأب العَلَّامة.

احترامًا وشوقًا، وبعده. بمزيدٍ من الأسفِ اطَّلعتُ على عزمِكـم فـي[١٢١] حَجْبِ مجلّتِكـم العصماءِ (لُغة العرب) للأسبابِ الّتي أوردتُموها[١٢٢]. أقولُ بمزيـدِ الأسـفِ؛ لأنّي كنتُ مُغْرَمًا فـي مطالعتِها، وكنتُ أجني منها ما لا يسـتطيعُ أن يجنيَه الواحدُ من أوراقٍ وزُهُورٍ مُعَطَّرةٍ في جُنينةٍ فيحاءَ عامرةٍ. فيمكنُكم- والحالةُ هذه- أن تُدرِكوا أيّها المُحترَمُ مَزيدَ حِرماني، وبالنّتيجةِ مزيدَ أسفي.

ولَمَّـا كان المنبـعُ الصّافـي الغزيرُ يأبى إلّا أن يتدفَّـقَ بمائـه العَذْبِ، فلا بُدَّ أن تجـودَ قريحتُكم الغنيّـةُ النّامرةُ، ولا بُدَّ أن تعرِضَ ثمارَها لطُلّابِها، فاسْـمحوا لي أن أُقدِّمَ لحضرتِكـم مجلّةَ (النَّجْم) الّتـي علـى فَقْرِهـا تـودُّ أن تلبسَ مـن مقالاتِكم الشّـافيةِ ثَوْبًا قشـيبًا. وتأكَّدوا في هـذه الفُرصةِ جزيلَ إخلاصي واحترامي لحضرتِكم.

أدامكم المَوْلى أيّها الأبُ المُحترَم.

المُخلص

القَسّ سُليمان صائغ[١٢٣]

الرّسالة التّاسعة

إدارة مجلّة النَّجْم

AL – Nadjm

Rédaction et Administration

شارع شَمْعون الصَّفا، المَوْصِل- (العراق)

Rue chamoun – el –Safa

Mossul (Irak)

تاريخ: ٣١/١٢/٢٨

(١٢٠) كذا. والصّواب: «نافِدةٌ».

(١٢١) كذا.

(١٢٢) عن تاريخ المجلّةِ وظُـرُوفِ توقّفِها، تُنظَر مقالتي الموسـومةُ بـ «مُكابدات الكرمليِّ ومسرّاته في إصدار أعرقِ مجلّـةٍ ثقافيّةٍ ببغـدادَ، عطّلتها الحـربُ الكونيّةُ الأُولى ١٢ عامًـا، وأوقفها كسـادُ الثّلاثينيّات العالميّ»، المنشـورة في قِسْـمينِ بجريـدة (الزّمـان) البغداديّة: العـددان ٦٦٠٥ و٦٦٠٦ الصّـادران يومي الاثنـين والثّلاثاء ٩- ١٠ آذار/ مارس ٢٠٢٠م: ص٥ (استطلاعات).

(١٢٣) كتـبَ گورگيـس عَوَّاد، أو شـقيقُه ميخائيل عَوَّاد، أسـفلَ هذه الرّسـالةِ، وتحت توقيعِ الصّائغِ، هذه العِبارةَ: «القَسّ سُـليمان صائغ». وقد كان الكرمليُّ أهداهما- سنة ١٩٤٣م- ملفّاتٍ تضمُّ كُلَّ ما وَرَده من رسـائلَ، وهي تُعدّ بالآلاف.

حضـرة العَلَّامـة الجِهْبِـذ الأب أنسـتاس ماري الكرمليّ الجزيل الحُرْمة.

احترامًـا وتحيّةً وبعـده أعرضُ: كُنـتُ قد قدَّمتُ تحريـرًا إلى حضـرةِ داود بـك آل الچَلَبِـي مُدير الصِّحّة العامّ، وشـفعتُ إليه بأحدِ معارفي، وهو بشير أفندي غَزالة، ولم آخُذ منه جوابًا، ولا نِلْتُ ما كُنتُ أَتوقَّعُه من حضرتِه.

بشـير غَزالة درسَ الطِّبَّ في كُلّيّة اليسـوعيّين فـي بيـروت، وأكمـلَ دُرُوسَـه، وقبـلَ الامتحانِ النّهائـيِّ أُغلِقـتِ الكُلّيّةُ الطِّبِّيَّةُ بانتشـابِ الحربِ الكَوْنيّة[١٢٤]، فعادَ المذكـورُ إلى المَوْصِلِ، ودخلَ طبيبًـا فـي الجيش التُّركـيّ بناءً على شـهاداتِه، ومـارسَ الطِّبابـةَ طيلـةَ سِـنِيِّ الحرب. ثُـمّ تركَ الطِّبابةَ واشـتغلَ بالتّجارةِ زمنًا، ولم يتوفَّقْ فيها. فعادَ يطلـبُ وظيفةً في دوائر الصِّحّة. ومُنذُ نحوِ ثـلاثٍ[١٢٥] يُماطلونَه ويَعِدُوْنَه، حتّـى كانَ تعيينُ الدّكتـور داود بـك، فعدتُ إلـى الالتجاء بـه عَلَّه يعطفُ على هذا الشّابِّ اليائس.

ولا بُدّ أنّكم تعرفون هذه الأُسْرةَ، وقد سمعتم بحُسْـنِ أخلاقِ رجالِهـا وثروتِهـم، والآنَ قد غدرَ بهـم الزّمانُ كما هو شـأنُه، فنظـرًا إلى ما أعهده فيكم من الهِمّة والعَطْفِ على أمثالِ هؤلاء الشُّبّانِ، ونظـرًا إلى صفتِكم الكَهنوتيّة الّتي تزيدُكم عطفًا للأخذ بيد هـؤلاء الهابطينَ الواقعينَ تحت غدراتِ الزّمـان، أرجو حنانَكـم الأبـويَّ أن تتكلَّفوا رُغمًا عن أشغالِكم، بمُواجهة صديقِكم الحميمِ الدّكتور داود بـك، وتُكلِّموه عـن[١٢٦] هذا الشّـابّ، وتُلِحُّوا عليه، بما لكم من دَالَّةٍ، في تعيينِ بشير غَزالة.

والآنَ قـد تهيّـأتِ الفُرْصةُ لأن تُكمـلَ وعدَها معه إدارةُ الصِّحّـةِ العامّـةِ؛ لأنّ مأمـورَ الصِّحّـة فـي تَلْكِيْـف[١٢٧] قد أعطى اسـتقالتَه في هـذه الأيّام الأخيرةِ وقُبِلَتْ، وعلى هذا قدَّمَ المُسـتدعي بشـير غَزالة طلبًـا مُجدَّدًا إلى المُديريّةِ العامّةِ المذكورةِ بواسـطة مُديـر الصَّحّة في المَوْصِل. وشـهاداتُ بشير غَزالة وطلباتُه هي في المُديريّة العامّة.

---

(١٢٤) وذلك سنةَ ١٩١٤م.

(١٢٥) رُبّما سقطتْ هُنا لفظةُ: «سنواتٍ»، على أنّ السِّياقَ مستقيمٌ من دونِها.

(١٢٦) كذا. والصّواب: «على».

(١٢٧) تَلْكِيْـف: بلْدةٌ تبعدُ عن مدينة المَوْصِل مسـافةَ ١٨ كـم إلى شـمالِها الشّرقيِّ، غالبيّةُ سُـكّانِها من المسـيحيّين الكِلدان، اسـمها آراميٌّ يتألَّفُ من لفظتـين (تل) و(كيبا) بمعنى تلّ الحِجارة. فيها آثارٌ يرجعُ تاريخُها إلى العُصُور الأكّديّة والآشـوريّة. كانت مركزَ ناحيّةٍ يتبعُ قضاءَ المَوْصِل (مركـزَ لِـواء المَوْصِـل) في بـدء التّنظيـم الإداريّ للدّولـةِ العراقيّةِ الحديثةِ في عشرينيّات القرن الماضي، ثُمّ أصبحتْ مركزَ قضاءٍ بمُحافظة نِيْنَوى سـنةَ ١٩٧٠م، وتتبعُها عدّةُ نـواحٍ من بينهـا ألْقوش وباطنايا. وقـد أصابَها ما أصابَ بَلْـداتِ سَـهْلِ نِيْنَوى وقُراها مـن نُزوحٍ وتهجـيرٍ وتدميرٍ حين اجتاحها مُسُـوخُ ما يُعرف بتنظيـم داعش الإرهابيّ في شـهر آب/ أغسـطس ٢٠١٤م، حتّـى تحريرها مطلعَ سـنةِ ٢٠١٧م. يُنظَر: «أُصُولُ أسماءِ مُدُنٍ وقُرًى عراقيّة»: ص٦٠- ٦٥، و «موسـوعة المُـدُن والمواقع في العراق»: ١/ ٢٦٠، و «الدّليل العراقيّ الرّسـميّ لسنة ١٩٣٦»: ص٥٣، و «المُنجِد في اللُّغة والأعلام»: ص١٧٩.

وإنّــي واثقٌ بنجــاحِ طلبِــه إذا تدخّلتُــم أنتم في الأمر، ولا أخالكم أيّها الأبُ الوقورُ إلّا أنتم فاعلون جُهدَكم، فأشكرُكم وأســالُ اللّهَ يُكافئكم بالأُجُور السّماويّة.

وبأمــلٍ أن آخــذَ الجوابَ قريبًــا، أكتفي بتقديم الاحترام سيِّدي.

المُخلص

القَسّ سُليمان صائغ

صورةٌ لأصلِ الرّسالة التّاسعة والأخيرة، المُؤرَّخةِ في ٢٨ كانُوْنَ الأوّلِ/ ديسمبر ١٩٣١م.

المصادر والمراجع

أ. الكتب:

- «الآبــاء الدّومنكان فــي المَوْصِل، أخبارهــم وخدماتهم ١٧٥٠ – ٢٠٠٥ »، بَهْنــام ســليم حَبّابــة، مطبعــة حــاج هاشم، أربيل- العراق، ط١، ٢٠٠٦م.
- «الأب أنســتاس مــاري الكرملــيّ، حياتــه ومؤلفاتــه»، گورگيس عوّاد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٦م.
- «الأُسَــر المســيحيّة في المَوْصِل»، بَهْنام ســليم حَبّابة، المُديريّة العامّة للثّقافة والفُنُون السُّريانيّة، وزارة الثّقافة والشّباب في إقليم كُرْدستان العراق، أربيل، ٢٠١٢م.
- «الأطبّــاء المَوْصِليّــون المُهاجــرون»، د. محمود الحاجّ قاســم، اعتنى بنشْــره وقــدّمَ له: د. أحمد عامــر الدّليمي، إصدارات رابطة التّدريســيّين الجامعيّين في نِيْنَوى (٧)، دار ماشكي للطِّباعة والنَّشْر والتّوزيع، المَوْصِل- العراق، ط١، ٢٠٢١م.
- «أُصُــولُ أســماءِ مُدُنٍ وقُــرًى عراقيّــة»، گورگيس عوّاد ويعقوب سركيس، دار الورّاق للنّشر، لندن، ط١، ٢٠٠٩م.
- «الأعــلام»، خير الدّيــن الزِّرِكْلِــيّ، دار العلــم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- «أعــلام الأدب فــي العــراق الحديث»، مِيْــر بَصْرِي، دار

الحكمة، لندن، ط١، ١٩٩٤م.
- «أعلام السّياسة في العراق الحديث» ج٢، مِيْر بَصْري، دار الحكمة، لندن، ط١، ٢٠٠٤م.
- «أقليّات العراق في العهد الملكيّ: دراسة في الدَّوْر السّياسيّ والبرلمانيّ»، زيد عدنان ناجي، دار الرّافدين، بيروت، ط١، ٢٠١٥م.
- «إنكليز في حياة فيصل الأوّل»، يعقوب يُوسُف كوريّة، دار الأهليّة للنّشر والتّوزيع، عَمَّان/ الأردن، ١٩٩٨م.
- «تاريخ الرّهاويّ المجهول» ج٢، عرَّبَه عن السُّرْيانيّة ووضعَ حواشيَه: الأب أَلْبير أَبونا، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٨٦م.
- «تاريخ المَوْصِل»، سُليمان الصّائغ: ج١: المطبعة السَّلَفيّة، القاهرة، ط١، ١٩٢٣م، ج٢: المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، ط١، ١٩٢٨م، ج٣: مطابع الكريم- جونيه (لُبنان)، ط١، ١٩٥٦م.
- «تاريخ عُلماء المَوصل» ج٢، أحمد مُحمّد المُختار، مطبعة الجُمهوريّة، المَوْصِل، ١٩٦٢م.
- «التّاريخ والمُؤرِّخون العراقيّون في العَهْد العُثْمانيّ»، د. عماد عبد السّلام رؤوف، دار الورّاق للنَّشْر، لندن، ط٢ (مُوَسَّعة)، ٢٠٠٩م.
- «التّنبيه والإشراف»، أبو الحسن علي بن الحُسين بن علي المسعوديّ (المُتوفَّى سنة ٣٤٦هـ)، دار الصّاوي، القاهرة، (ب. ت).
- «تنزه العِباد في مدينةِ بغداد، نُبذةُ تاريخِ بغدادَ وجُغرافيّتِها ١٨٨٧»، المُعلِّم نابليون المارينيّ، تحقيق: د. باسم عَبُّود الياسريّ، مُراجعة وتقديم: طالب البغداديّ، دار ضفاف، بغداد، ٢٠١٢م.
- «تنزه العِباد في مدينة بغداد، نُبذةُ تاريخِ بغدادَ وجُغرافيّتِها»، المُعلِّم نابليون المارينيّ، تحقيق: الدّكتور طارق نافع الحمدانيّ وحكمت رحماني، وزارة الثّقافة العراقيّة، إصدارات مشروع بغدادَ عاصمة الثّقافة العربيّة، بغداد، ٢٠١٣م.
- «التّوفيقات العليّة في مُوافقة الشُّهُور العربيّة بالشُّهُور الميلاديّة للقرنين الرّابعَ عشرَ والخامسَ عشرَ الهجريّ»، عبد العزيز سعيد هاشم، مكتبة وَهْبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.
- «جعفر أبو التَّمَّن ودَوْره في الحركة الوطنيّة في العراق، ١٩٠٨- ١٩٤٥ »، عبد الرّزّاق عبد الدّرّاجي، وزارة الثّقافة والفُنُون العراقيّة، دار الرّشيد للنّشْر، بغداد، ١٩٧٨م.
- «جَوْلة أثريّة في بعض البلاد الشّاميّة: وصفٌ طُبوغرافيٌّ تاريخيٌّ أثريٌّ عمرانيٌّ للبِقاع والبُلدان المُمتدّة من شماليِّ الإسكندرونة إلى أبواب دمشق»، أحمد وصفي زكريا، المطبعة الحديثة، دمشق، ١٩٣٤م.
- «خِطَط الشّام» ج٦، مُحمّد كُرْد علي، مطبعة المُفيد، دمشق، ط١، ١٩٢٨م.
- «خُلاصة تاريخ العراق منذ نُشوئه إلى يومنا هذا »، أنستاس ماري الكرمليّ، مطبعة الحكومة، البصرة، ١٩١٩م.
- «الدُّرّ المنظوم ردًّا على الأسئلة والأجوبة المُمضاة باسم السَّيِّد البطريرك مكسيموس مظلوم»، بولس بُطرس مسعد، مطبعة الرُّهبان اللُّبنانيّين، دَيْر سيّدة طاميش، كِسْرَوان، جبل لُبنان، ١٨٦٣م.
- «دليل الجُمهوريّة العراقيّة لسنة ١٩٦٠»، محمود فهمي دَرْويش والدّكتور مُصطفى جَواد والدّكتور أحمد سوسة، صدر تحت إشراف وزارة الإرشاد العراقيّة، دار مطبعة التّمدّن، بغداد، ١٩٦١م.
- «الدّليل العراقيّ الرّسميّ لسنة ١٩٣٦، موسوعةٌ سنويّةٌ إداريّةٌ اجتماعيّةٌ اقتصاديّةٌ تجاريّةٌ زراعيّةٌ، تصدرُ باللُّغتين العربيّة والإنكليزيّة»، صاحب الامتياز إلياهو دَنْكُوْر، رئيس التّحرير محمود فهمي درويش، محلّ دَنْكُوْر للطَّبْع والنَّشْر، بغداد، ١٩٣٦م.
- «دَوْر السُّرْيان في الثّقافة العراقيّة: أبحاثُ ودراساتُ الحلقة الدّراسيّة الثّالثة: دورة سُليمانَ الصّائغ ٢٠- ٢٢/ ١١/ ٢٠١٢» ، مُديريّة الثّقافة السُّريانيّة في وزارة الثّقافة بإقليم كُردستان العراق، أربيل، ٢٠١٣م.
- «الدِّيارات»، أبو الحسن بن مُحمّد المعروف بالشَّابشتيّ (المُتَوفَّى سنة ٣٨٨هـ)، تحقيق: گورگيس عَوَّاد، دار المدى للثّقافة والنَّشْر، بغداد، ط٣، ٢٠٠٨م.
- «ديوان النّابغة الجَعْدِيّ»، جَمَعَه وحقَّقَه وشَرَحَه: الدّكتور واضح الصّمد، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

- «ذكريات بغداديّة: العراق بين الاحتلال والاستقلال»، موسى الشّابَنْدَر، دار رياض الرَّيِّس، لندن، ١٩٩٣م.
- «رسائل الأُستاذ الرّئيس مُحمّد كُرْد علي إلى الأب أنستاس ماري الكرمليّ»، حقّقَها وقدَّمَ لها وعلَّقَ حواشيَها: حُسين مُحمّد عَجيل، مجمع اللُّغة العربيّة بدمشق، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.
- «الرَّضْوانيُّ ومُوْجَزٌ لترجمةِ شيخِه البريفْكاني، ولمحات عن أُسَرِ المَوْصِل العِلميّة والدِّينيّة وأبرز الأعيانِ»، محفوظ العبّاسيّ، مطبعة الجُمهور، المَوْصِل، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- «الشّيخ أحمد مُحمّد طيّب السّليڤاني: حياته، أُسرته، شيوخه وآثاره »، جاسم عبد شلّال، وزارة الثّقافة والشّباب في إقليم كُرْدستان العراق، المُديريّة العامّة للإعلام والطّباعة والنَّشْر، مُديريّة الطّباعة والنَّشْر في دهوك، ٢٠١٣م.
- «الشّيخُ ضاري آل محمود رئيس قبيلة زوْبَع، قاتلُ الكولونيل لِجْمَن في خان النُّقْطَة »، عبد الحميد العَلَوْجي وعزيز جاسم الحَجّيّة، منشورات مكتب العَلَوْجي الحَجّيّة، مطبعة أسعد، بغداد، ط١، ١٩٦٨م.
- «الطُّرْفة في مخطوطات دَيْر الشَّرْفة »، إسحق أرملة، مطبعة الآباء المُرسَلِيْن اللُّبنانيّين، جونيه- لبنان، ١٩٣٦م.
- «العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ إلى ١٩٥٠، تاريخ سياسيّ اجتماعيّ واقتصاديّ»، ستيفن همسلي لونكريك، ترجمة وتعليق: سليم طه التّكريتي، الفجر للنَّشْر والتّوزيع، مطبعة حُسام، بغداد، ط١، ١٩٨٨م.
- «العراق في رسائلِ المِسْ بيل»، ترجمَه وعلَّقَ عليه: جعفر الخَيّاط، تقديم: عبد الحميد العَلَوْجي، الدّار العربيّة للموسوعات، طَبْعة مُزَيَّدَة ومُنَقّحَة، بيروت، ٢٠٠٣م.
- «فِهْرِس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامّة في المَوْصِل»، (الأجزاء: ٢ و٣ و٧)، سالم عبد الرَّزّاق أحمد، وزارة الأوقاف والشُّؤون الدّينيّة العراقيّة، بغداد، ط٢، ١٩٨٢م.
«الفِهْرِست»، ابن النّديم (المُتوفَّى نحو سنة ٣٨٠هـ)، اعتنى به وعَلَّقَ عليه: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، دار الفتوى، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م.
- «الفَوْز بالمُراد في تاريخ بغداد «، ساتسنا [توقيعٌ مُستعارٌ للأب أنستاس ماري الكرمليّ]، مطبعة الرّياض، بغداد، ط١، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م. [الطّبعة الثّانية منه صدرتْ في العامِ نفسِه باسمِه الصّريح، وطُبِعتْ في مطبعة الشّابَنْدَر ببغدادَ].
- «الكامِل في التّاريخ»، أبو الحُسين عزّ الدّين علي بن أبي الكَرَم مُحمّد الشّيبانيّ، ابن الأثير (المُتوفّى سنة ٦٣٠هـ)، مطبعة بريل، لَيْدن، ١٨٦٦م.
- «كشّاف الجرائد والمجلّات العراقيّة»، زاهدة إبراهيم، منشورات وزارة الإعلام العراقيّة، دار الحُرِّيّة للطّباعة، بغداد، ١٩٧٦م
- «لسان العرب»، أبو الفَضْل جمال الدِّين مُحمّد بن مكرم، ابن منظور (المُتوفَّى سنة ٧١١هـ)، دار صادر، ٢٠٠٣م.
- «المباحث اللُّغويّة في العراق ومُشكلة العربيّة العصريّة»، الدُّكتور مُصطفى جَواد، مطبوعات المجمع العلميّ العراقيّ، بغداد، ط٢، ١٩٦٥م.
- «مُحمّد بهجة الأَثَريّ، كتابُ المجمعِ العلميِّ العراقيِّ في تكريمه» ، مطبوعات المجمعِ العلميِّ العراقيِّ، بغداد، ١٩٩٤م.
- «مخطوطات المَوْصِل: وفيه بحثٌ عن مدارسِها الدّينيّة ومدارسِ مُلْحقاتها »، الدّكتور داود الجَلَبي المَوْصِليّ، مطبعة الفُرات، بغداد، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م.
- «مسيحيّو العراق»، سُهيل قاشا، دار الورّاق للنَّشْر، لندن، ٢٠٠٩م.
- «مصادر الدّراسة الأدبيّة» ج٢، يُوسُف أسعد داغر، منشورات جمعيّة أهل القلم في لُبنان، مطابع لُبنان، بيروت، ط١، ١٩٥٦م.
- «مُعْجَم أسامي المُستشرِقين»، إعداد: د. يَحْيى مُراد، منشورات مُحمَّد علي بيضون: دار الكُتُب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- «مُعْجَم أعلام المورد»، مُنير البعلبكي، إعداد: د. رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- «مُعْجَم البُلْدان»، أبو عبد الله شهاب الدّين ياقوت بن عبد الله الرُّومي الحَمَويّ (المُتوفّى سنة ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
- «المُعْجَم الجُغرافيِّ للقُطْر العربيِّ السُّوريّ»، مجموعة

من المُؤلِّفين، مركز الدّراسات العسكريّة، دمشق ١٩٩٠م.
- «مُعْجَم المطبوعات العربيّة والمُعَرَّبة»، يُوسُف إليان سركيس، مطبعة سركيس بمصر، ١٩٢٨م.
- «مُعْجَم المُؤلِّفين العراقيّين في القرنين التّاسعَ عشرَ والعشرين ١٨٠٠-١٩٦٩ »، گورگيس عوّاد، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٩م.
- «المكتبات العامّة المَوْصِليّة مُنذ القرن الثّامنَ عشرَ وحتّى القرن العشرين»، قُصَي حُسين آل فَرَج، دار غيداء للنّشر والتّوزيع، عمان/ الأردن، ٢٠١٢م.
- «المُنجِد في اللُّغة والأعلام»، لويس معلوف، دار المشرق، بيروت، ط٣٦، ١٩٩٧م.
- «المورد، قاموس إنكليزيّ- عربيّ»، مُنير البعلبكّي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٧٠م.
- «موسوعة أعلام وعُلماء العراق»، حميد المَطْبَعيّ، مُؤسّسة الزّمان الدّوليّة للصّحافة والنّشر والتّوزيع، بغداد، ط١، ٢٠١١م.
- «موسوعة المُدُن والمواقع في العراق» ج١، تأليف: بشير يوسف فرنسيس، إعداد: جِنان بشير يوسف وزياد أيمن بشير، إصدارات إي- كُتُب، لندن، ط١، ٢٠١٧م.
-«يزداندَوْخت الشّريفة الأربيليّة»، سُليمان الصّائغ، مطبعة النَّجْم الكِلْدانيّة، المَوْصِل، ط١، ١٩٣٤م.

ب. الدّوريّات:

- «ابن ماري أبو العبّاس »، أنستاس ماري الكرمليّ، مجلّة (لُغة العرب) الجُزء السّادس من السّنة الثّامنة، الصّادر في الأوّل من حَزِيْران/ يونيو ١٩٣٠م: ص٤٥٦- ٤٥٩. [فِقْرة ضمن باب (أسئلة وأجوبة)].
-«أعضاء المجمعِ العلميِّ العراقيِّ لسنة ١٩٤٩- ١٩٥٠»، (مجلّة المجمع العلميِّ العراقيِّ): العدد الأوّل، ١٩٥٠م: ص٢١.
- «الأمانة العلميّة إلى أين ترتقي؟ »، زين النّقشبندي، جريدة (الصّباح) البغداديّة، العدد الصّادر يوم ١٥ آذار/ مارس ٢٠٠٥م. [ثُمّ أعادَ نَشْرَها بعُنوان «حياة الكُتُب: الأمانة العلميّة إلى أين ترتقي؟» في العدد الثّالث من (مجلّة الكتاب العراقيّ) البغداديّة، الصّادر في أيْلُوْل/ سبتمبر ٢٠٠٩م: ص١٣- ١٥].
- «بين احتفاءٍ باهرٍ للنُّخَب بيوبيله سنة ١٩٢٨، وراهنِ تجاهُلِ ذكرى ولادته الـ ١٥٠: أنستاس الكرمليّ، بِشارةُ نهضةٍ وريادةُ تنوير»، حُسين مُحمّد عجيل، جريدة (طريق الشّعب) البغداديّة، يوم الأحد ٧ آب/ أغسطس ٢٠١٦م [نُشِرتْ على صفحتين كاملتين].
- «تاريخ الطِّباعة العراقيّة مُنذ نُشُوئها وحتّى الحرب العُظْمى الأُولى» القسم الثّاني، بَهْنام فَضيل عَفّاص، مجلّة (المورد) البغداديّة، العدد الثّاني من المُجلّد ١٢، الصّادر صيفَ سنةِ ١٩٨٣م: ص١٢- ٤٤.
- «تاريخ العِلْم في لُبنان»، الشّيخ شاهين الخازن، مجلّة (الجامعة) الصّادرة في مدينة الإسكندريّة بمصر، الجُزء الأوّل من المُجلّد الرّابع، شُباط/ فبراير ١٩٠٣م: ص٢٦- ٣٣.
- «تاريخ مطبعة الحكومة في المَوْصِل»، رُفائيل بُطّي، مجلّة (لُغة العرب) البغداديّة، الجُزء التّاسع من السّنة الخامسة، الصّادر [في الرُّبع الأخير من] سنة ١٩٢٨م: ص٥٢٩- ٥٣٤.
- «تاريخ المَوْصِل- الجُزء الثّاني»، محمود المَلّاح، مجلّة (لُغة العرب) البغداديّة، الجُزء التّاسع من السّنة السّادسة، الصّادر في شهر أيْلُوْل/ سبتمبر ١٩٢٨م: ص٧٠٣- ٧٠٦. [نُشِرَتْ في باب (المُشارفة والانتقاد)].
-«التّكايا في المَوْصِلِ مُنذ أواخرِ العَهْدِ العُثمانيّ وحتّى سنة ١٩١٨ »، عُروبة جميل محمود، مجلّة (دراسات مَوْصِليّة) الصّادرة عن جامعة المَوْصِل، العدد ٢٠، الصّادر سنة ٢٠٠٨م: ص٣٥- ٥٤.
- «الجَرامِقة»، أنستاس ماري الكرمليّ، مجلّة (لُغة العرب) البغداديّة، الجُزء الرّابع من السّنة الثّالثة، الصّادر في تَشْرِيْن الأوّل/ اكتوبر ١٩١٣م: ص١٦٩- ١٨٠.
- «خُلاصة أعمالِ المجمعِ العلميِّ العراقيِّ»، (مجلّة المجمع العلميّ العراقيّ): العدد الأوّل، ١٩٥٠م: ص٣٨٣- ٣٩٢.
- «الدُّرْقاعة»، أنستاس ماري الكرمليّ، مجلّة (النَّجْم) المَوْصِليّة، السّنة الرّابعة، ١٩٣٢م: ص١٧٤- ١٧٦.
-«السِّيْرة الذّاتيّة للمُطرانِ سُليمانَ الصّائغِ»، عُني بنشرها د. بُطْرُس حدّاد، مُلْحق عدد جريدة (المدى) البغداديّة،

الصّـادر يوم ٢٤ أيّـار/ مايو ٢٠١٢م. [نقـلًا عن مجلّة (بين النَّهْرين)].

- «شـمّاسٌ فـي كنيسـة ورائـدٌ فوتغرافـيّ»، رِفْعة عبد الرَّزّاق، جريدة (المدى) البغداديّة، العدد الصّادر يوم ٢٣ أيّار/ مايو ٢٠١٦م.

- «العبقـريُّ وأَصْلُها»، أنسـتاس مـاري الكرمليّ، مجلّة (النَّجْم) المَوْصِليّة، السّـنة الخامسة، ١٩٣٣م: ص٦٢٧- ٦٣٦.

- «العراق المُمتاز»، مجلّـةُ (المُقتطف) القاهريّة، الجُزء الثّالـث مـن المُجلَّـد ٦٢، الصّـادر فـي ١ آذار/ مارس ١٩٢٣م: ص٢٩٥- ٢٩٦. [فِقْـرةٌ مُدرجـةٌ فـي بـاب (التّقريظ والانتقاد)].

- «الغِيـاب المُفجِـع »، حُسـين مُحمّـد عَجيـل، جريدة (الصّبـاح الجديد) البغداديّة: العـدد ٢٨٦٢ الصّادر يوم الأحد ١ حَزِيْران/ يونيو ٢٠٢٤م: الصّفحة ٨ (الثّقافيّة). [كلمة في رثاء الدّكتور سَعْدي المالِح].

-«فِهْرِسـت مخطوطاتِ دَيْـرِ الآباءِ الكرمليّيـنَ ببغدادَ»، حكمـت رَحْمانـي، مجلّـة (المـورد) البغداديّـة، العـدد الأوّل مـن المُجلّد الثّاني، الصّادر في شـهر آذار- مارس ١٩٧٣م: ص١٥٤- ١٦٨.

- «فِهْرِسـت مخطوطات المُطران سُليمان الصّائغ وأخيه موسـى الصّائـغ»، د. بُطْـرُس حـدّاد، مجلّـة (المورد) البغداديّة، العـدد الأوّل من المُجلّد ١٢، الصّادر في ربيعِ سنةِ ١٩٨٣م: ص١٣٥- ١٥١.

- «الفَوْز بالمُراد في تاريخ بغداد»، بلا توقيع [وهي للأب أنسـتاس ماري الكرملـيّ]، مجلّة (لُغة العـرب): الجُزء العاشر من السّنة الأُولى، الصّادر في شهر نَيْسان/ أبريل ١٩١٢م: ص٤٠٥ [فِقْـرةٌ مُدرجـةٌ في باب (المُشـارفة والانتقاد)].

-«مجهـولٌ مـن أصحـاب المقامـات»، يُوسُـف يعقوب مَسْـكوني، مجلّة (الأديب) البيروتيّة، العدد ١٢ من السّنة الرّابعة، الصّادر في ١ كانُوْنَ الأوّلِ/ ديسـمبر ١٩٤٥م: ص٢٥- ٢٧.

- «مخطوطاتُ الكرمليِّين فـي خِزانة المُتْحَفِ العراقيِّ»، گورگيس عوّاد، مجلّة (سـومر) البغداديّة، المُجلّد السّابع الصّادر سنةَ ١٩٥١م: ص٢٧٨- ٢٨٣.

- «المقامـات النَّصْرانيّة لابن ماري»، أنسـتاس الكرمليّ، مجلّة (المشـرق) البيروتيّة: العدد ١٣ من السّـنة الثّالثة، الصّادر في ١ تَمُّوْز/ يوليو ١٩٠٠م: ص٥٩١- ٥٩٨.

- «مُكابـداتُ الكرمليِّ ومسـرّاتُه في إصـدار أعرقِ مجلّةٍ ثقافيّةٍ ببغـداد، عطّلتها الحربُ الكونيّـةُ الأُولى ١٢ عامًا، وأوقفها كسادُ الثّلاثينيّات العالميّ»، حُسين مُحمّد عَجيل، جريـدة (الزّمـان) البغداديّـة، العـددان ٦٦٠٥ و٦٦٠٦ الصّـادران يومي الاثنيـن والثّلاثـاء ٩- ١٠ آذار/ مارس ٢٠٢٠م: ص٥ (استطلاعات).

- «نُبْذتـان من تاريخ المَوْصِلِ عن مخطوطٍ قديمٍ للشّـيخ أبـي زكريا الأَزْدِيِّ»، يُوسُـف إليان سـركيس، مجلّة (لُغة العـرب) البغداديّـة، الجُزء الثّاني من السّـنة السّادسـة، الصّادر في شـهر شُـباط/ فبرايـر ١٩٢٨م: ص ١١٢- ١١٦.

-«النُّصُـوص الدّينيّة اليزيديّـة ونقْلُها إلـى الإيطاليّة مع مُقدّمة وحواشٍ بقلم جوزيه فُرْلاني»، أنسـتاس الكرمليّ، مجلّـة (لُغة العـرب)، الجُزء الثّالث من السّـنة التّاسـعة، الصّادر في آذار/ مارس ١٩٣١م: ص٢٣٠. [فِقْرة ضمن باب (المُشارفة والانتقاد)].

ج. الوثائقُ غيرُ المنشورة:

- رسـالةٌ خطّيّـةٌ من الأب أنسـتاس مـاري الكرمليِّ إلى مُحمّـد كُرْد علي رئيس المجمع العلميِّ العربيِّ بدمشـقَ، مُؤرَّخةٌ في ٣ آذار/ مارس ١٩٢٣م. (لديّ صورةٌ منها).

- رسـالةٌ خطّيّةٌ من المُؤرِّخ عبد الرَّزّاق الحَسَنِيِّ إلى الأب أنسـتاس مـارس الكرمليِّ، مُؤرّخةٌ في ١ آب/ أغسـطس ١٩٢٩م. (لديّ صورةٌ منها).

د. المواقع الرَّقْميّة:

- «التّكايا في المَوْصل (٥)» ، جاسـم شـلّال، منشور في (مُنتدَى الحياة المَوْصِليّة) على الشّابكة العالميّة، يوم ٢٢ كانُوْنَ الثّاني/ يناير ٢٠١٢م على هذا الرّابط: https:// topic-ahlamontada.net/t٤٩١.rakan٢